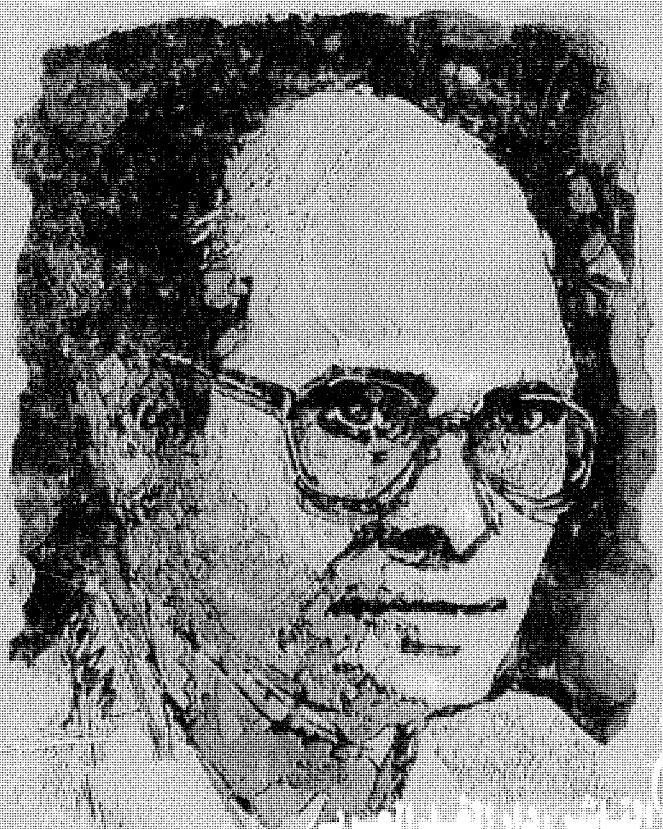


د. جمال حمدان

مفردات من أوراقه الخاصة

تشریح اول مرة

اعداد وتعليم:



الناشر دار الفكر العربي



دار الفهد العربي 

سلسلة « كتاب الفهد » ٢

د . جمال حمدان

صفحات من أوراقه الخاصة

مذكرات في الجغرافيا السياسية

تنشر لأول مرة

إعداد وتقديم

د . عبد الحميد صالح حمدان

الطبعة الأولى

١٩٩٦ م



الناشر
دار الفهد العربي
٣ ش - دانش - العباسية
ب: ٢٨٥٦١٢٢ - ٢٩٧٣٨٧٠ - القاهرة



كتاب الغد

سلسلة غير دورية تهتم بالقضايا
الاجتماعية والثقافية والسياسية
التي تهتم القارئ العربي ..

المشرف العام على السلسلة

حمدان جعفر

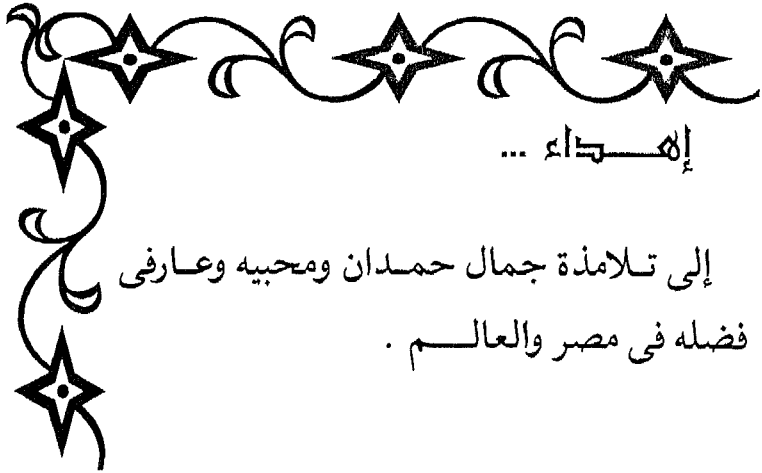
حقوق الطبع والنشر محفوظة للناشر



د. جمال حمدان

مذكرات فى
الجغرافيا
السياسية ..

تنشر لأول مرة



إهداء ...

إلى تلامذة جمال حمدان ومحبيه وعارفى
فضله فى مصر والعالم .

مذكرات في الجغرافيا السياسية ..

تقديم : ...

بعد أن انتهى جمال حمدان عام ١٩٨٩ من ملحتمه العلمية الكبرى «شخصية مصر - دراسة في عبقرية المكان» التي صدرت في أربعة أجزاء على مدى عشر سنوات كاملة ووصل مجموع عدد صفحاتها إلى نحو أربعة آلاف صفحة من القطع الكبير، فإنه لم يكف عن الكتابة والبحث كعادته، وكان - في سبيل ذلك يدون ما يعن له من أفكار وآراء أولاً بأول ويوما بيوم دون تسلسل زماني أو مكاني، وإنما تسجيلاً لما يدور في ذهنه من خواطر وتفاعلات تدخل في صميم اهتماماته ببلده وبالعالم العربي والإسلامي .
[انظر اللوحتين ١ - ٢] .

وقد كان الهدف من هذه «المسودّات» العلمية هو وضع اللبنة الأولى لكتابه الذي كان ينوي إخراجه عن جغرافية الإسلام . وقد حدثني أخي جمال في هذا الصدد وقبل وفاته وأخبرني بأنه قد انتهى من آخر مؤلفاته، وبيانه قد اختار له عنوان «العالم الإسلامي في الاستراتيجية العالمية» [انظر اللوحة ٣]، وبأنه سيدفع به إلى المطبعة قريباً .

وقد كتب جمال حمدان هذه المسودات فى الفترة الواقعة ما بين عام ١٩٩٠ و ١٩٩٣ ، وهى فترة من الفترات العصبية التى مر بها العالم العربى والإسلامى ، والتى شهدت بداية تفككه وتشردمه .

وقد أعادت هذه المسودات إلى ذهنى المخطوطة التى تركها المفكر الفرنسى بسكال [المتوفى عام ١٦٦٢] ، والتى نشرت بعد وفاته بحوالى ثمانى سنوات ، وفى يناير ١٦٧٠ على وجه التحديد ، وحملت العنوان الشهير «أفكار بسكال» (les Pensees de Pascal) . وقد احتوت على شذرات مما خلفه من مسودات كان ينوى إصدارها فى مؤلف مستقل يحمل أفكاره وتوجهاته العقلية ونقده للحياة الدينية فى عصره ، والتى شكلت أسس التطورات التى قامت عليها العقلانية الدينية فى أوروبا ومهدت الطريق إلى ظهور العلمانية الغربية فى وقت لاحق . .



ومذكرات جمال حمدان التى بين أيدينا اليوم والتى تنشر لأول مرة تضم نوعين من الأفكار: الأول هو النوع القصير المقتضب الذى لم يتبلور بعد ، والآخر هو المطول الذى أخذ شكله النهائى فى سياق البحث أو الدراسة .

وقد توخينا أثناء عملنا فى هذه المذكرات لإخراجها إلى النور عدم المساس بها ، لا بالحذف ولا بالإضافة ، احتراماً لفكر الراحل الجليل ، وإعمالاً للمناهج العلمية الأصيلة التى أفنى عمره فى الأخذ بها والدعوة إلى ترسيخها وإرساء دعائمها . ومع ذلك ، فقد حجبنا نشر أجزاء كبيرة من هذه المذكرات ، بعد أن رأينا أن الوقت لم يحن بعد لنشرها نظراً لما جاء بها من آراء وأفكار سبق بها جمال عصره واتسمت بالشجاعة والصراحة المعهودتين فيه ، والتى تحلى بهما طوال حياته ، فهو كان يفعل ما يقول ويكتب ما يؤمن

به مهما كلفه ذلك غالباً . . وتلك سمات حفنة من العلماء الأحرار الذين قامت على أكتافهم الثقافات والحضارات التي عرفها التاريخ ، والتي ذاقوا في سبيلها ألواناً من الحرمان والاضطهاد بل والموت أحياناً! ونعاهد القارئ الكريم إذا ما آن الأوان ، وإذا ما كان في العمر بقية إصدار هذه الأجزاء في وقت لاحق لعله قريب ! .



وقد قسمنا هذه المذكرات إلى خمسة فصول . فأوردنا في القسم الأول مسوداته التي دونها عن مصر والمصريين ؛ وجاء الفصل الثاني عن الجغرافيا والجغرافيين . أما الفصل الثالث فقد خصص للعرب والعالم العربي ؛ والفصل الرابع عن الإسلام والعالم الإسلامي . وتناول الجزء الخامس العالم الغربي .



نبذة عن تاريخ حياة جمال حمدان :

ولد جمال حمدان في قرية ناى بمحافظة القليوبية «مصر» في ٤ فبراير ١٩٢٨ ، في أسرة كلها صلاح وعلم ، تنحدر من قبيلة «بنى حمدان» العربية التي نزحت إلى مصر مع غيرها من القبائل العربية أثناء الفتح الإسلامي . ولما وصل إلى سن دخول المدرسة الابتدائية ، أدخله والده مدرسة شبرا الابتدائية للبنين عام ١٩٣٦ ، وحصل منها على شهادة الابتدائية في يونيو ١٩٣٩ ، والتحق بالمدرسة التوفيقية الثانوية في سبتمبر من نفس العام ، وهو تاريخ إعلان الحرب العالمية الثانية . وقد واكبت سنوات دراسته في هذه المدرسة جميع سنى الحرب ، وما أفرزته من آلام ودمار . وفي هذه المدرسة - وبالتحديد في السنة النهائية - التقى بأستاذه الفاضل محمود جمال الدين ،

أستاذ الجغرافيا بالمدرسة الذى حبب إليه هذا العلم ، وجعله يصمم على متابعة دراسته بكلية الآداب - جامعة فؤاد الأول [القاهرة حاليا] بعد حصوله على شهادة التوجيهية [الثانوية العامة حاليا] عام ١٩٤٤ بتفوق وكان ترتيبه السادس على طلبة القطر المصرى .

وكانت سنوات دراسته الجامعية كلها جد واجتهاد حيث تتلمذ على أساتذة أفذاذ، وتعلم اللغة الألمانية وأجدها فى تلك الأثناء . ولما تخرج بامتياز عام ١٩٤٨ كان عمره لا يتجاوز العشرين سنة ! فعين معيدا بالكلية فى نفس السنة . وابتعثته الجامعة إلى إنجلترا لاستكمال دراساته العالية . فسافر إلى هناك فى مارس ١٩٤٩ ، والتحق بجامعة ريدينج ، وعاد منها بعد حصوله على درجتى الماجستير والدكتوراه عام ١٩٥٣ . وانضم إلى هيئة التدريس بقسم الجغرافيا ، وظل يعمل به إلى أن استقال عام ١٩٦٩ ، وتفرغ للبحث والتأليف حتى وفاته إثر حادث أليم فى ١٧ أبريل ١٩٩٣ م :



قائمة بمؤلفاته المنشورة باللغة العربية :

- * دراسات فى العالم العربى ، القاهرة ، ١٩٥٨ .
- * أنماط من البيئات ، القاهرة ، ١٩٥٨ .
- * دراسة فى جغرافيا المدن ، القاهرة ، ١٩٥٨ .
- * المدينة العربية ، القاهرة ، ١٩٦٤ .
- * بتروى العرب ، القاهرة ، ١٩٦٤ .
- * الاستعمار والتحرير فى العالم العربى ، القاهرة ، ١٩٦٤ .
- * اليهود أنثروبولوجيا ، كتاب الهلال ، ١٩٦٧ .

- * شخصية مصر، كتاب الهلال، ١٩٦٧ .
- * استراتيجية الاستعمار والتحرير، القاهرة، ١٩٦٨ .
- * مقدمة كتاب «القاهرة» لديزموند ستيوارت، ترجمة يحيى حقي،
١٩٦٩ .
- * العالم الإسلامى المعاصر، القاهرة ١٩٧١ .
- * بين أوروبا وآسيا، دراسة فى النظائر الجغرافية القاهرة، ١٩٧٢ .
- * الجمهورية العربية الليبية، دراسة فى الجغرافيا السياسية القاهرة،
١٩٧٣ .
- * ٦ أكتوبر فى الاستراتيجية العالمية، القاهرة، ١٩٧٤ .
- * قناة السويس، القاهرة ١٩٧٥ .
- * أفريقيا الجديدة، القاهرة، ١٩٧٥ .
- * موسوعة «شخصية مصر - دراسة فى عبقرية المكان» ٤ أجزاء،
القاهرة، ١٩٧٥ - ١٩٨٤ .



المقالات المنشورة باللغة العربية

فى المجلات والجراند

فى مجلة «الهلال» :

- ١ - فلسطين والوحدة - سنة ١٩٦٤ « ١٠ صفحات » .
- ٢ - نحو حل علمى لمشكلة قبرص - أكتوبر سنة ١٩٦٤ « ١٠ صفحات » .

- ٣- ماذا تعد إسرائيل عسكريا - نوفمبر سنة ١٩٦٤ « ٨ صفحات » .
- ٤ - أصول تاريخية وجغرافية فى مصر - البيروقراطية والجغرافيا - فبراير سنة ١٩٦٥ - « ١٢ صفحة » .
- ٥ - هل تملك إسرائيل سلاحا ذريا - مايو سنة ١٩٦٥ « ١٢ صفحة » .
- ٦ - إسرائيل الصهيونية وأرض فلسطين - عدد فلسطين « ٥ » السنة ٧٦ مايو سنة ١٩٦٨ « ٢٠ صفحة » .
- ٧ - مقتطفات من مقالة «هل تملك إسرائيل أسلحة ذرية» - عدد الهلال الماسى « ٧٥ » . مع صورة للدكتور/ جمال حمدان «صفحة واحدة» .



فى مجلة «الكاتب» :

- ١ - الوحدة العربية بين مقوماتها ومعوقاتنا - العدد « ٥٩ » فبراير سنة ١٩٦٦ « ١٥ صفحة » .
- ٢ - معركة العودة والاستراتيجية النووية - العدد « ٦٠ » مارس سنة ١٩٦٦ « ١٨ صفحة » .
- ٣ - نافذة على البحر الأحمر - القصير لابرنيس - العدد « ٦٢ » مايو سنة ١٩٦٦ « ١٠ صفحات » .
- ٤ - قضية فلسطين والموقف العربى العدد « ٦٥ » أغسطس سنة ١٩٦٦ « ١٩ صفحة » .
- ٥ - قضية فلسطين ومحور الاستعمار والصهيونية العدد « ٦٧ » أكتوبر سنة ١٩٦٦ « ١٧ صفحة » .

- ٦ - قضية فلسطين والعدو الإسرائيلي - العدد «٦٨» نوفمبر سنة ١٩٦٦ «٢٥ صفحة» .
- ٧ - الأردن دولة - دراسة فى الجغرافيا السياسية «١» العدد «٧٠» يناير سنة ١٩٦٧ «٢٠ صفحة» .
- ٨ - الأردن دولة - دراسة فى الجغرافيا السياسية «٢» العدد «٧١» فبراير سنة ١٩٦٧ «١٥ صفحة» .
- ٩ - نظرة على الموقف قبل المعركة - العدد «٧٥» يونيو سنة ١٩٦٧ «١٧» صفحة» .
- ١٠ - أهداف ثابتة ووسائل متغيرة - العدد «٧٧» أغسطس سنة ١٩٦٧ «٢١ صفحة» .
- ١١ - حول الدعوة إلى نظرة جديدة إلى القضية الفلسطينية العدد «٨٥» إبريل سنة ١٩٦٨ «١٧ صفحة» .
- ١٢ - فلسطينيات - بين معركة الدعاية ومعركة الميدان - العدد «٨٧» يونيو سنة ١٩٦٨ «٢٤ صفحة» .



فى مجلة «مرآة العلوم الاجتماعية» :

- ١ - مورفولوجية الشام العدد الثانى ، مارس سنة ١٩٦٤ «٢٦ صفحة» .
- ٢ - نحو مدرسة عربية فى الجغرافيا - العدد الأول ، ديسمبر سنة ١٩٦٤ «٢٨ صفحة» .
- ٣ - الزراعة فى سوريا ، العدد الأول ، ديسمبر سنة ١٩٦٥ «٢٠» صفحة» .

- ٤ - دموغرافية العواصم الأفريقية، العدد الأول، ديسمبر سنة ١٩٦٢
«١٢ صفحة».
- ٥ - أفريقيا - من جغرافية الاستعمار إلى التحرير العدد الثانى مارس سنة
١٩٥٨ «١٣ صفحة» .
- ٦ - هذه الجغرافية، العدد الأول ديسمبر سنة ١٩٥٧ «١٠»
صفحات».
- ٧ - الموقع الاستراتيجية للعالم العربى - العدد الثانى يونيو سنة ١٩٥٨
«١٣ صفحة» .
- ٨ - التخطيط الإقليمى بين موارد المياه والسكان فى مصر - العددان
الرابع والخامس - مايو سنة ١٩٥٩ «١٤ صفحة» .
- ٩ - تخطيطنا الإدارى فى ضوء نظام الحكم المحلى - العدد الثالث،
يونيو سنة ١٩٦١ «١٧ صفحة» .
- ١٠ - أسماء الأماكن فى العالم العربى - العدد الثانى، مارس سنة ١٩٦٣
«١٤ صفحة» .
- ١١ - الصناعة السورية - العدد الثانى، مارس سنة ١٩٦٦ «١٦ صفحة» .



فى مجلة «الفكر المعاصر» :

- ١ - هيكل المجتمع الإسرائيلى - العدد «٦» أغسطس، سنة ١٩٦٥ «١٠»
صفحات» .
- ٢ - حول وحدة الرفادين والنيل - دراسة علمية لقوة العراق الاستراتيجية،
العدد «١٢»، فبراير سنة ١٩٦٦ «١٢ صفحة» .

- ٣- خريطة القومية الأفريقية: تحليل علمي منهجي لوضع الإنسان الأفريقي المعاصر- العدد «١٤»، أبريل سنة ١٩٦٦ «١١ صفحة» .
- ٤- من جغرافية الإسلام: دراسة رائدة عن توزيع المسلمين فى العالم- العدد «٢٠»، أكتوبر سنة ١٩٦٦ «١٨ صفحة» .
- ٥- ليس اليهود من بنى إسرائيل: دراسة علمية لأسطورة الأهل اليهودى- مهداة إلى سارتر- العدد «٢٤»، فبراير سنة ١٩٦٧ «١٢ صفحة» .
- ٦- المعركة لم تنته من بنى . . بل بدأت- العدد «٣٠»، أغسطس سنة ١٩٦٧ «١٥ صفحة» .
- ٧- نحن والدولة العصرية- العدد «٤١»، يوليو سنة ١٩٦٨ «١٧ صفحة» .



فى مجلة « كلية الآداب » :

- ١- فى العلاقة بين السكان والتضاريس- دراسة فى جغرافية السكان- المجلد «١٩» الجزء الأول، مايو سنة ١٩٥٧ «٢٠ صفحة» .
- ٢- العلمية الجديدة- نحو نظرية معرفة متطورة، وعلم منهج جغرافى، عدد «٥٢» ١٩٩١ .



فى مجلة « نهضة أفريقيا » :

- ١- الخريطة السياسية الأفريقية، «١»، «٢»، مقالتان- العددان «٦٩»، «٧٠» أغسطس وسبتمبر سنة ١٩٦٣ «٨ صفحات» .
- ٢- الخريطة السياسية لأفريقيا الجديدة- العدد «٧٠» سبتمبر ١٩٦٣ «٩ صفحات» .

٣- العواصم الأفريقية «١»، «٢»، «٣» ثلاث مقالات - الأعداد «٧٣»، «٧٤»، «٧٥» ديسمبر سنة ١٩٦٣ يناير وفبراير سنة ١٩٦٤ «٦»، «٥»، «٧» صفحات.



في مجلة «المجلة» :

١- الإسلام في أفريقيا، دراسة سياسية - العدد «٨٢» نوفمبر ١٩٦٣ «٧» صفحات.

٢- جغرافية الثورة - العدد «٨٨» أبريل ١٩٦٤ «٢٠» صفحة .

٣- جوانب سياسية في بترول العرب - العدد «٩١» يوليو ١٩٦٤ «١٤» صفحة.

٤- شخصية مصر - مركزية رغم الامتداد - العدد «٩٥» نوفمبر ١٩٦٤ «٩» صفحات.

٥- شخصية مصر - بين مياه النيل وطريق السويس - العدد «٩٦» ديسمبر ١٩٦٤ «١٠» صفحات .

٦- شخصية مصر - تعدد الجوانب - العدد «٩٧» يناير ١٩٦٥ .

٧- من جغرافية الاستعمار إلى عدم الانحياز «١» - العدد «١٠٥» سبتمبر ١٩٦٥ «٢٠» صفحة .

٨- من جغرافية الاستعمار إلى عدم الانحياز «٢» - العدد «١٠٦» أكتوبر ١٩٦٥ «٢٠» صفحة .

٩- من جغرافية الاستعمار إلى عدم الانحياز «٣» - العدد «١٠٧» نوفمبر ١٩٦٥ «٢٥» صفحة

- ١٠ - من جغرافية الاستعمار إلى عدم الانحياز «٤» - العدد «١٠٨» ديسمبر ١٩٦٥ «٢٢ صفحة» .
- ١١ - من جغرافية الاستعمار إلى عدم الانحياز «٥» - العدد «١٠٩» يناير ١٩٦٦ «١٢ صفحة» .
- ١٢ - من جغرافية الاستعمار إلى عدم الانحياز «٦» - العدد «١» ١٩٦٦ .
- ١٣ - من جغرافية الاستعمار إلى عدم الانحياز «٧» - العدد «١١٢» أبريل ١٩٦٦ «١٦ صفحة» .
- ١٤ - بين أوروبا وآسيا - نظائر ونقائض جغرافية «١» - العدد «١٣٦» أبريل ١٩٦٨ «١٦ صفحة» .
- ١٥ - بين أوروبا وآسيا - نظائر ونقائض جغرافية «٢» - العدد «١٣٧» مايو ١٩٦٨ «١٣ صفحة» .
- ١٦ - بين أوروبا وآسيا - نظائر ونقائض جغرافية «٣» - العدد «١٣٨» يونيو ١٩٦٨ «١١ صفحة» .
- ١٧ - بين أوروبا وآسيا - نظائر ونقائض جغرافية «٤» - العدد «١٣٩» يوليو ١٩٦٨ «١١ صفحة» .



فى مجلة «الأهرام» :

- ١ - من مشاكل الحكم المحلى - عصر التفرقة بين «مديرية» «محافظة» لايزال باقيا «٢٦ / ٨ / ١٩٦٤» .
- ٢ - حول برنامج العمل الوطنى والدعوة إلى خريطة حدسده لمدصر - خريطة مصر الجديدة وجغرافية سنة ٢٠٠٠ (١) الأهرام «١١ / ٨ / ١٩٧١» .

- ٣- قضية إعادة بناء القرية (٢) الأهرام «١٥/٨/١٩٧١» .
- ٤- اتحاد الجمهورية العربية: الدولة والرسالة - الأهرام «١٩٧١/٩/٢» .
- ٥- معادلة القوة الجديدة فى الاستراتيجية العالمية: لعبة توازن القرن التاسع عشر. فى صورة أكبر- الأهرام «١٣/٢/١٩٧٣» .
- ٦- محاور الاستقطاب فى آسيا: هل تصبح آسيا الجديدة. . هى أوروبا القرن الجديد- الأهرام «٢٤/٣/١٩٧٣» .
- ٧- اقتراح محدد حول إعادة تخطيط أرض المعارض - الأهرام «١٤/٧/١٩٧٣» .
- ٨- لا تنقلوا عاصمة مصر «١٨/٦/١٩٧٦» .



مقالات أخرى فى مصادر متنوعة :

- ١- نمو وتوزيع السكان فى مصر ١٩٥٩ - القاهرة .
- ٢- إعادة بناء القرية المصرية - مجلة الطليعة - عدد مايو ١٩٧٦ .



قائمة بمؤلفاته وبحوثه
المنشورة باللغة الإنجليزية

- Population of the Nile Mid - Delta, past and present,
Reading University, June 1953, 2 vol..

- Khartum: study of a city, Geog. Review, 1956.

- Studies in Egyptian Urbanism, Cairo, 1960.

- Evolution of irrigation agriculture in Egypt, in :
A history of land use in arid regions, ed. L. Dubley Stamp,
Unesco, Paris, 1961.

- Egypt, the land and the people, in: Guide book to ge-
ology, 1962.

- Pattern of medieval urbanism in arab world, Geog. Re-
view, April 1962.

- Political map of the new Africa, Geog. Review, oct.
1963.

- The four dimensions of the Egypt, Cairo, 1994.



* مؤلفات صدرت عن جمال حمدان :

١ - «جمال حمدان في ذمة التاريخ» للدكتور محمد الغنيمي مقلد،
القاهرة ١٩٩٣ .

٢ - صاحب شخصية مصر وملامح من عبقرية الزمان، للدكتور
عبد الحميد صالح حمدان، القاهرة ١٩٩٣ .

وذلك بالإضافة إلى العديد من البحوث والمقالات التي صدرت في
المجلات والصحف المصرية والعربية .



وبقيت لنا كلمة أخيرة . لقد آلينا على أنفسنا رغم صعوبة المهمة وما
يحفظها من مزالق، إصدار هذا الجزء في شكله الحالي، إيماناً منا بأن من
حق القارئ الكريم علينا أن يطَّلِع، ولو جزئياً، على ما خلفه الراحل الدكتور
جمال حمدان من آراء وأفكار تدعو كلها إلى التأمل والتفكير، وتناولت أموراً
على درجة كبيرة من الأهمية لمصر والعالم العربي والإسلامي وعلاقاته مع
الغرب، وهي موضوعات محورية وحاسمة تفرض نفسها على مصير
الشعوب وهويتها وهي على أعتاب القرن الحادي والعشرين .
ورأينا أنه من الخطأ أن تظل هذه «المسودَّات» حبيسة الأدراج دون أن ترى
النور بعد أن أصبح صاحبها ملكاً لمصر وتاريخها . .

دكتور

عبد الحميد صالح حمدان





مذكرات في
الجغرافيا السياسية

الفصل الأول

مصر

والمصريون

١

الفصل الأول

١

مصر والمصريون

مصر والمصريون

«مصر اليوم: إما القوة أو الانقراض، إما القوة وإما الموت! إن لم تحقق مصر محاولة قوة عظمى تسود المنطقة بأثرها، فسوف يتداعى عليها الجميع يوما ما «كالقصعة!» أعداء وأشقاء وأصدقاء، أقرين وبعيدين «وأبعدين!». زنوج أفريقيا سيكونون أول أبناء آوى، ولكنهم سيدعون زنوج النيل لينوبوا عنهم ويقفون هم يتفرجون في حياذ كاذب في انتظار العزاء بعد الوفاة (الحبشة + السودان + أعالي النيل قد يحاربون مصر يوما ما عسكريا! ثم إسرائيل + عرب البترول + تركيا وإيران . . إلخ).

المشرق العربي هو «خاصرة» العالم الإسلامى المحصورة بين «البحا الخمسة»: المتوسط، الأحمر، البحر العربى، الخليج، البحر الأسود.

«عنصرىا، الطبقة الوسطى (اجتماعيًّا) هى المضطهدة من أعلى ومن أسفل على السواء. فالغرب يحارب ويطارد العرب وأبناء الشرق الأوسط ولا

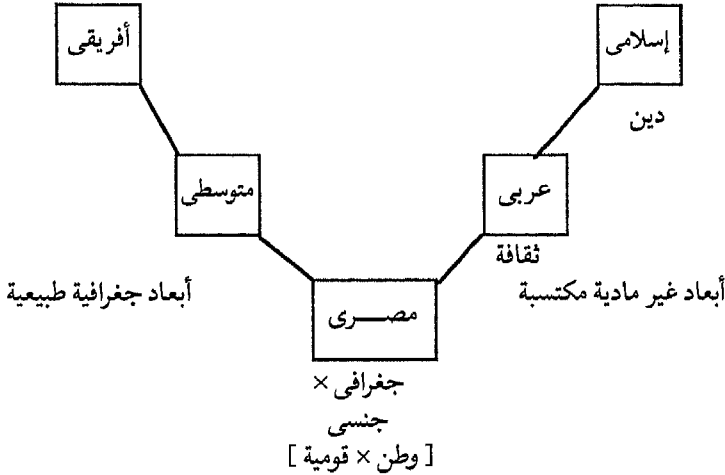
يمس السود الأفريقيين . . إلخ وقدبما أباد الأوربيون الهنود الحمر «وهم أرقى جنسيا من السود بكثير». ثم جلبوا ملايين الأفريقيين السود إلى القارة بدلا منهم :

✽ الله أعلم حيث يضع رسالته — هذا هو «الحتم الإلهي». وهو الحتم الوحيد الصحيح والمطبق .

لكن الحتم الإلهي = الحتم الجغرافي + الحتم التاريخي .

✽ الغريب أن كل شيء في مصر القديمة يبدأ لأول مرة، ولكنه لا يلبث أن يتفوق ويستتفع ويصبح محليا لا عالميا .
الزراعة والحضارة طبعاً .

لكن حتى السفن ! أول من اخترع السفن والملاحة هي مصر على النيل + البردي . ولكن لأن أخشاب مصر لا تصلح للبحار العالية اقتضت ملاحظتها «حتى بعد ومع أرز لبنان» على النيل ومصر وهكذا اخترعت مصر الملاحة ، ولكنها لم تنزل إلى البحر والملاحة البحرية البعيدة المدى .



أن تكون مصرياً فهذا يعنى فى الواقع شيئين فى وقت واحد: الأرض والشعب، الوطن والقومية فالمصرية للمصرى هى قاعدة الأساس، وقاعدة الارتكاز وهى قاعدة مركبة لا بسيطة من عنصرين لا عنصر واحد. هذه القاعدة الأساسية لها أبعاد خارجية أو أبعد آفاقاً وأفاقاً وأكثر اتساعاً ولكنها بالضرورة أقل كثافة وأساسية أى أكثر ثانوية هذه الأبعاد ليست مجموعة شتى ومختلطة، ولكن هذا الخلط هو سبب عدم وضوح الرؤية والاختلاف فى الرؤية حيث لا ينبغى خلط أو اختلاف. فهذه الأبعاد ليست متجانسة وليست من نوع أو طبيعة واحدة، فهى مجموعتان أو حزمتان: أبعاد جغرافية طبيعية بحثه أى إقليمية من صنع المكان والطبيعة، أبعاد مكانية باختصار؛ ثم أبعاد بشرية.

من المتغيرات الخطرة التى تضرب فى صميم الوجود المصرى ليس فقط من حيث المكانة ولكن المكان ذاته ما يلي:

(أ) أصبحت أرض مصر معرضة للتآكل الجغرافى لأول مرة فى التاريخ كله وإلى الأبد إذ تحولت من عالم متناه بالطبع والطبيعة والجغرافيا إلى عالم متآكل بفعل الإنسان فأولا السد العالى أوقف نمو أرض مصر أفقياً ورأسياً. وعرضها للتآكل البحرى والصحراوى.

(ب) أصبحت أرض مصر «أرضاً مغلقة» بيولوجياً بلا صرف بل مصرف. وبالتالي لا تتحدد مياهها وتربتها، كما لم يعد تحدد أرضها وترابها، من ثم أصبحت بيئة تلوث نموذجية ويقدر ما هى بللورة مركزة طبيعياً، ستصبح بللورة تلوث مكثفة حتى الموت البيولوجى.

(ج) لأول مرة ظهر لمصر منافسون ومطالبون ومدعون هيدرولوجياً. كانت مصر سيدة النيل، بل مالكة النيل الوحيدة - الآن فقط انتهى هذا إلى الأبد، وأصبحت شريكة محسودة ومحاسبة ورصيدها المائى محدود وثابت

وغير قابل للزيادة، إن لم يكن للنقص، والمستقبل أسود. ولت أيام الغرق وبدأت أيام الشرق وعرفت الجفاف لا كحظر راجع ولكن دائم. «الجفاف المستديم» بعد «الرى المستديم»!

(ء) فى الوقت نفسه بلغ سكان مصر الذروة غير المتصورة قط، وهكذا بينما القاعدة الأرضية والمائية انكماش أو ثبات أو انقراض، وصل الطفح السكانى إلى مده. ولم يبق سوى المجاعة وبقى عامل السكان الذى تعدى إمكانيات الأرض، أصبح بالوعة للأرض وأكلا لها، فهو لا يتجاوز إمكانيات الأرض فحسب، وإنما تقلصها بقدر ما يتوسع إسكانا فى المدن والقرى والطرق إلخ حتى سيأتى اليوم الذى تطرد فيه الزراعة تماما من أرض مصر، لتصبح كلها مكان سكن، دون مكان عمل أى دون عمل، أى دون زراعة، أى دون حياة أى موت! لتتحول فى النهاية من مكان سكن على مستوى الوطن إلى مقبرة بحجم دولة.

(هد) مع كل هذه الانكماشات والانزلاقات الداخلية والذاتية، أتت الكوارث الخارجة لا فرادى ولا بالمشنى ولكن بالجمع والجملة.

* إسرائيل .

* بتروى العرب .

* الانقلاب الكونى العالمى فى الحضارة والتكنولوجيا والهيمنة الأمريكية وسقوط السوفيت إلخ هذا وحده عصف بكل ما تبقى من مكانة مصر، بعد أن تأكل المكان من العوامل الداخلية :

المتغيرات الداخلة تخرب المكان .

المتغيرات الخارجة تخرب المكان .



مصر تختلف عن كل بلاد العالم من حيث مشكلة تلوث البيئة .

فهى أول بيئة زراعية فى التاريخ غالبًا .
وهى الآن أول بيئة مرشحة للإنقراض والاختفاء فى التاريخ أيضا .
نعم ، حسم مصر كله مهدد بالانقراض الكلى لماذا؟ لأن مصر «عالم
متناه» غير قابل للنمو أو الزيادة أو للتمدد تقريبا .
والآن يتعرض لأكبر عملية تلويث كيمائيا + تأكل ميكانيكيا ، بحيث قد
يأتى اليوم الذى تصبح فيه بيئة غير صالحة بتاتا لاستمرار حياة الإنسان .
وعندئذ ينقرض السكان والإنسان بعد انقراض الأرض والبيئة!



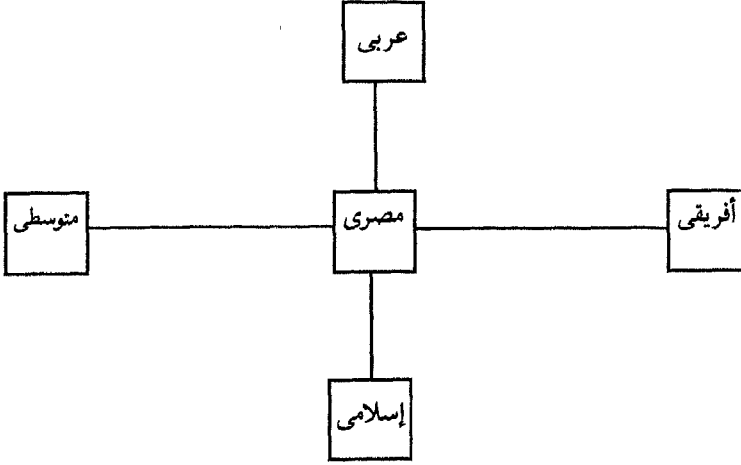
حضارة مصر الفرعونية «حضارة بيئية» بكل معنى الكلمة ، بمعنى أنها
تعبر عن البيئة الطبيعية وتعتمد عليها وتعيش فى كنفها بشكل حميم للغاية ،
فهى Symbiosis لا مثل له .



مصر هى النموذج الأول prototype blue Print لإثنولوجية وانثروبولوجية
الشعب والدولة والتركييب الجنسى للدولة القادمة فى العالم أجمع .
بدأت مصر القديمة دولة مكونة من عناصر جنسية مختلفة ولكن متقاربة
ثم انصهرت فى بوتقة فكانت شعبا متعدد الألوان يجمع بين البيض والسمر
بدرجة مختلفة .



فى أبعاد وتشخيص الشخصية المصرية السابقة يضاف الآتى :
الأبعاد الجغرافية هى أبعاد أفقية .
الأبعاد البشرية هى أبعاد رأسية .
وعليه يمكن تعديل الرسم إلى الشكل الآتى :



كما أن مصر تركت أطرافها وأركانها القصية مهمة عبر التاريخ ، فملاؤها أقليات من الشعوب المجاورة ، فالغريب أن هذا ينطبق على العالم العربى ككل ، فقد طغت الأقليات المجاورة على أطراف الدولة فى المشرق حتى (الخليج ومن العراق وسوريا) كما فى المغرب (الزنج) .

الفروق الأساسية بين أقطاب الشرق الأوسط الثلاثة:

مصر: أقدم الامبراطوريات وأقواها ولكن بعد السبق فقدت باستمرار . فى أوجها لم تسيطر على إيران أو تركيا . وبالكاد تعادلت مع الحيثيين .

تلتها إيران «فارس» بامبراطورية لاتقل ضخامة وخطرا ، وللأسف سيطرت على مصر واستعمرتها فى العصور القديمة أما فى العصور الحديثة فحين كانت مصر مستعمرة عثمانية ، كانت إيران فارس امبراطورية كبرى تناوئى تركيا وتقاوم الروسية .

أخيرا تلت تركيا ، ولم تلبث أن أصبحت نداء لإيران ثم تفوقت عليها

وحجّمتها، بينما سيطرت على مصر ٤ قرون وقهرتها وأذلّتها؛ دون أن يسبق لمصر قهرها أو اسنعمارها رغم نصر عسكري عابر يوما ما «إبراهيم باشا»، فلا شك أن سيطرة تركيا على مصر وسيادتها عليها لا تقارن قط برد مصر المحدود.

فمصر إذن عينها مكسورة من تركيا أساسا «لأن سيادتها أقرب تاريخياً ولا زالت في الأذهان» وعقدة مصر ومركب نقصها من ناحية تركيا واضح، والتقارب بين مصر اليوم وتركيا هو نفاق متبادل لا يخفى كراهية مصر ولا استعلاء وغطرسة تركيا.



ببساطة إن مصر أقدم وأعرق دولة في الجغرافيا السياسية للعالم، غير قابلة للقسمة على اثنين أو أكثر مهما كانت قوة الضغط والحرارة مصر هي «قدس أقداس» السياسة العالمية والجغرافيا السياسية، ومن المتصور تماما وإن بدرجات متفاوتة أن تنكش أو تنقسم كل دول العالم بلا استثناء إلا مصر! لماذا مرة أخرى؟ لأن مصر السياسية هي ببساطة من خلق الجغرافيا الطبيعية لا التاريخ ولا السياسية ولا الصدفة ولا القوة إنها نبت طبيعي بحت.



يقول البعض للأقباط، إننا شركاء حضارة واحدة هي الإسلام، وإننا نختلف ديناً ولكن نشترك في الحضارة وحضارة القبطي هي الحضارة الإسلامية.

حسناً، ما المقصود بالحضارة الإسلامية؟ إذا كان الماضي، فذلك صحيح، أي إننا شركاء في التراث.

ولكن إذا كان المقصود الآن والعصر الحديث فأين هي الحضارة

الإسلامية؟ إن كل حياتنا المادية هي الحضارة الغربية ١٠٠٪. هل مجرد المساجد والجوامع تجعلنا حضارة إسلامية؟ كلا، إن الموجود الآن ليس حضارة إسلامية ولكن ثقافة إسلامية، وجزئية عند ذلك هي اللغة طبعاً والدين + التلمذة الثقافية للغرب.

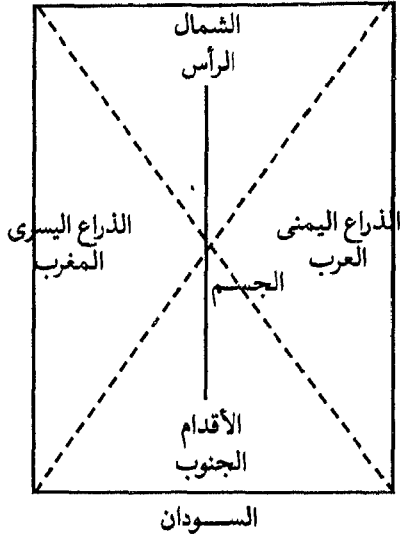
إذن نحن والأقباط شركاء - بعد الوطن والتاريخ والحضارة الإسلامية قديماً - شركاء الآن في الثقافة نصف الغربية نصف العربية الإسلامية، وذلك بصرف النظر عن عناصر الوحدة الدينية البحتة بين الإسلام والمسيحية، فضلاً عن وحدة العنصر والأصل. . إلخ إنهم أقرب المسيحيين في العالم إلى الإسلام بمعنى ما أو آخر. وفي هذا تفرد الأقلية القبطية لتضاف إلى عناصر تفرد مصر بعامتها. وكما أن مصر «فلتة» جغرافية، فإن الأقباط «فلتة» طائفية.

في كتابه «المشرق المسيحي قبل الإسلام» يقول الدكتور إدمون رباط إن المسيحيين اليعاقبة (وهم طائفة المسيحيين الغالبة آنذا) كان عددهم في مصر ٦ ملايين + ٢٠٠ ألف مسيحي خلقدونى معظمهم من الروم واليونان في مدينة الإسكندرية وحولها.

وفي مجزرة بيزنطية واحدة قتلت الدولة البيزنطية في مصر ٢٠٠ ألف قبطي من أنصار الطبيعة الواحدة ويقول المطران الأرثوذكسى جورج خضر إن الغالبية العظمى من سكان سوريا الطبيعية ظلت تنتمى إلى المسيحية طوال ٥ قرون بعد الحروب الصليبية وكانت نسبتهم (أى المسيحيين) ٨٠٪ من السكان قبل الحروب الصليبية.



الرأس ○ تركيا
الرقبة □ الشام



الجهات الأصلية في مربع علاقات مصر الخارجة وأبعادها المتعددة.

المؤثرات الجنسية الثانوية التي اتضحت في سكان مصر هي بمثابة الرأس من الشمال (تركيا وحولها) والشام (الرقبة) أما الذراعان فالمشرق العربى والجزيرة ثم المغرب أما القدامان فالسودان وحوله والمؤثرات الثانوية من الجهات الأربع الفرعية:



مصر وسط بين : أوروبا الغربية وآسيا الموسمية ، بين غرب آسيا وجنوب

أوروبا ، بين الهند وإيطاليا ، من الناحية الجنسية الانثروبولوجية .
خلال العصر العربي ، ومن واقع كتب الحوليات ، عدَّ البعض زلازل
مصر بنحو ٥٠ زلزالا .
الغريب أن هذا نفس عدد الفيضانات الخطرة والمجاعات التي وجدها
خلال نفس العصر!
مصر، زلزاليا ، ليست «ذات النطاقين» وإنما هي «بين النطاقين» أو قل
هي شكلا «ذات النطاقين» وموضوعا هي ما بين النطاقين .



أكبر كتلة منفردة من الإسلام على الأرض هي مصر، تليها جاوة - فمصر
قد لا تكون أكبر جزيرة بشرية منفردة في العالم سكانيا ، ولكنها كذلك
إسلاميا .



انقذوا مصر من القاهرة، والقاهرة من نفسها !

كل طوبة توضع في القاهرة، هي جريمة في حق مصر كلها وأولها القاهرة
نفسها .
كل كوبرى يبني داخل القاهرة، هو كوبرى مسروق من مدينة أو قناة أو
منطقة أخرى في مصر .
الصعيد قاع مصر اليوم ، اقتصاديا واجتماعيا وحضاريا وطائفا . . إلخ قد
يبدأ انفجار مصر من الصعيد .



المشروع القومي ليس إلا بناء مصر، مصر القوية الكريمة . أي العمل ،

الإنتاج، المادى والسلمى مع إعادة توزيع العائد بعدالة «الدولة العصرية»
هى المشروع القومى والمشروع القومى تسمية جديدة فقط للدولة العصرية .

حين نقول مصر القوية ، فنحن نقصد مصر القوية العزيزة الكريمة ، فى
الخارج والداخل والقوة وحدها على خطورتها لا تكفى ، فالصوت فى
الغناء ، لا تكفيه - القوة بل لا بد من ثنائى القوة الجمال . مصر القوة
والجمال - هذا ما نريد - القوة هى التحرر الوطنى والسيادة الوطنية والعزة
القومية ونفى التبعية والاستعمار والصهيونية وإسرائيل : أما الجمال فهو عزة
الإنسان المصرى فى دولته القوية : العدالة ، المساواة ، إعادة توزيع الملكية
والدخل .



هكذا مصر تأخذ وتعطى توصل وتوصل . الجغرافيا قديمة جدا من أقدم
العلوم ولكنها كلما تغيرت كلما كانت نفس الشيء تماما كمصر .





مذكرات في
الجغرافيا السياسية

الفصل الثاني
الجغرافيا
والجغرافيون

٢

الفصل الثاني

٢

الجغرافيا والجغرافيون



الجغرافيا والجغرافيون

العلم الحائر !

لم يعد أدنى شك أن الجغرافيا تزداد حيرتها في العالم كل يوم أكثر وأكثر، في عصر العلم والتكنولوجيا والمعلوماتية والليزر والأقمار الصناعية . . إلخ . كل هذه تلقى على الجغرافى أعباء جديدة رهيبه، وهو الذى ناء وركع تحت وطأة وثقل أعبائه السابقة! ما العمل؟ كيف ينهض ، كيف يزحف كيف يمشى ، كيف يركض ، كيف يقفز؟

لابد أن يخوض الجغرافى الإمام بكل التكنيك العلمى الجديد، يأخذ عنه فكرة واضحة ، لا ليتحول إلى متخصص فيه ، بل مجرد متلصص عليه . . ولكن فى نفس الوقت فإن هذا يؤكد أكثر من أى وقت مضى وللمرة الألف بعد المليون أن الجغرافيا فلسفة المكان ، فلسفة الأرض ، فلسفة

العالم ، فلسفة الكرة الأرضية لا أكثر ولا أقل - لاستحالة أن تكون غير ذلك .
نحن ندعو إلى الحد الأقصى من العلم والعلمية فى الجغرافيا لتواكب عصر
العلم والتكنولوجيا الفائقة ، وفى الوقت نفسه إلى قلب الجغرافيا وموطنها
النهائى وهو فلسفة المكان - الحد الأقصى من العلمية مع الحد الأقصى من
الفلسفية ، وتحقيق ومواءمة هذه الثنائية هى جوهر «فن» الجغرافيا .



كل يوم يزداد العالم تقلصا وانكماشاً بتقاربه وتلاصقه وتوحده - القرية
الكوكبية أو الكوكب - القرية ، ولكن حجمه وعبه على الجغرافى يزداد فداحة
وضخامة .

ميزة وقوة الجغرافيا ، سر المهنة وسر القوة ، هو أنها تعتمد على التقسيم
المكاني ، فالتقسيم المكاني هو «تصنيف فى المكان» بلاطات وقوالب
وألواح وشقافات (= أقاليم وأشباه أقاليم من مختلف الدرجات
والمساحات) تقسم إليها الظاهرة المعطاة أو المدروسة والتي قد تكون عائمة
هلامية سايحة فتصبح محددة ، واضحة الحدود ، واضحة فى الذهن ، أى
تصبح علمية (+ فنية) .

أى قولبة الهلامى ، بعد وبدل هلامية التكوين .



الجغرافيا = عملية + توزيع .

عبارة جديدة الجغرافيا = ميكانيزم + صورة .

الآن الجغرافيا هى التى تقدم الصورة للمتعلم والمتقف أكثر من
الميكانيزم الذى هو ألصق بالعلوم الأولية من هنا كان للجغرافيا ميزة حاسمة
على علوم كثيرة كالنبات والحيوان والجيولوجيا والميتورولوجيا فهى وحدها
التي تقدمها للطالب الثانوى ثم للجامعى غير المتخصص . نحن أفضل

موصول جيد للعلوم الأولية إلى غير المتخصص، سواء مبتدئ أو ناضج .
كذلك ، لما كان الميكانيزم في العلوم الاجتماعية كالاجتماع والسياسة
إلخ ثانوى الدور وأقرب إلى الحدس والعقل الفطرى ، فإن الجغرافيا تكاد
تحتكر الصورة + الميكانيزم فى حالتها ، تعكس العلوم الطبيعية الذى يظل
الميكانيزم فيها خطيرا جدا بالطبع وغاية فى ذاته .



قد لا تكون الجغرافيا قمة العلوم ، ولكنها بالتأكيد قمة الثقافة . الجغرافيا
هى أعلى مراحل الثقافة ، وهى علم الثقافة الأساسى بدونها أنت غير مثقف
مهما فعلت ، وبها أنت مثقف مهما قصّرت .

لن تكتب فى الثقافة العامة جغرافيا بحتة أو صرفة ! كلا ، ستكون ثقافة
عامة مشبعة أو مشعشة أو مدعمة بالجغرافيا ، تركز على الجغرافيا ولكنها
لا تركز عليها . الجغرافيا فيها أساسى ولكن ليس الصرح بالضرورة الجغرافيا
فيها جزء لا كل باختصار وعندئذ عليك أن تخضع الجغرافيا للثقافة بينما فى
العلم البحت تخضع الثقافة للجغرافيا .

كما أن الأسلوب الروائى الدميم ليس شرطا للكتابة العلمية ، فإن
الأسلوب الجميل ليس حكرا على الأدب والكتابة الأدبية ، وليس كل كتابة
جميلة الأسلوب أدبية أو من الأدب فى شىء بالضرورة .



لا ينبغى للجغرافى أن يشعر بمركب نقص إزاء العلوم الأخرى التى يأخذ
منها ، ولكنه أيضا لا ينبغى أن يكون لنفسه مركب عظمة إزاءها فالتوازن
النفسى مطلوب كالعلمى .

الجغرافيا هى التسمية المقترحة لـ *geohistoire* على غرار
الجغراسيا .

إذا كانت العلوم اثنتين : مفيدة ومنوَّرة ، فإن الجغرافيا إن تكن أكثر العلوم المنورة بلا نزاع ، فإنها ليست بالضرورة أقل العلوم المفيدة إفادة . فهي قد لا تقل فائدة عن الاقتصاد ، وبالتأكيد عن الاجتماع أو علم النفس التطبيقي إلخ .

وبالصفة الأولى ، فإن الجغرافيا هي قمة علوم الثقافة وعلم الثقافة الأول مثلما سيدة العلوم الاجتماعية غير منازعة وبالصفة الثانية فإنها لا تقل مكانة وجدوى عن العلوم الطبيعة .

[الجدوى العلمية نقصد بها مدى فائدة أى علم للحياة العملية والإنتاج المادى] .



الجغرافيا علم خالد من الأزلى إلى الأبد وخالد لأنه حتمى لا مفر منه ولا بديل عنه .

أزاح الأعلام العلم عن الصدارة ، وأصبح العلماء هم بروتشارية العالم الجديد الذى خلقوه بعلمهم وتكنولوجياهم .



أمريكا الشمالية من الناحية الجغرافية الضيقة وأقاليم هيريرتسن تساوى أوراسيا (أوربا + آسيا) مضغوطة وعلى تصغير، ومع استبعاد قلب أوراسيا القارى جدا . وأقاليم شرق القارة فى الحاليتين واحدة ، وكذلك أقاليم غرب القارات ، بل وأيضا أقاليم وسط القارات وخطوط النص متقاربة ، والاشترك فى الأقاليم الطبيعية واضح حتى الإقليم الصينى فى فلوريدا وحولها ، وأقليم المتوسط فى كاليفورنيا . وكما تنتهى أوربا عند البحر المتوسط تنتهى أمريكا عند الكاريبى ولكن يمكن اعتبار أن الهند الموسمية يقابلها مثلث المكسيك

وإن بتخفيف نسبي ، كما أن جزر الهند الغربية المدارية شبه الاستوائية تقابل جزر الهند الشرقية وإندونيسا المدارية الاستوائية .

من ناحية أخرى ، أفريقيا جنوب الصحراء تساوى وتناظر تماما أمريكا الجنوبية ابتداء من بنما . فالأقاليم الصينية مشتركة ومتناظرة وحتى الشكل المثلثى متقارب ورغم الكوردييرا فى أمريكا الجنوبية (كما فى الشمالية) والتشابه واضح .

ترتب على هذا أننا لو حذفنا الصحراء الكبرى من أفريقيا ولحمتناها بأوربا فى كتلة واحدة ، لأصبحت مشابهة ومناطقها تماما لكتلة الأمريكتين تقريبا لاسيما إذا حذفنا أمريكا الوسطى من الأخيرة أى أن :

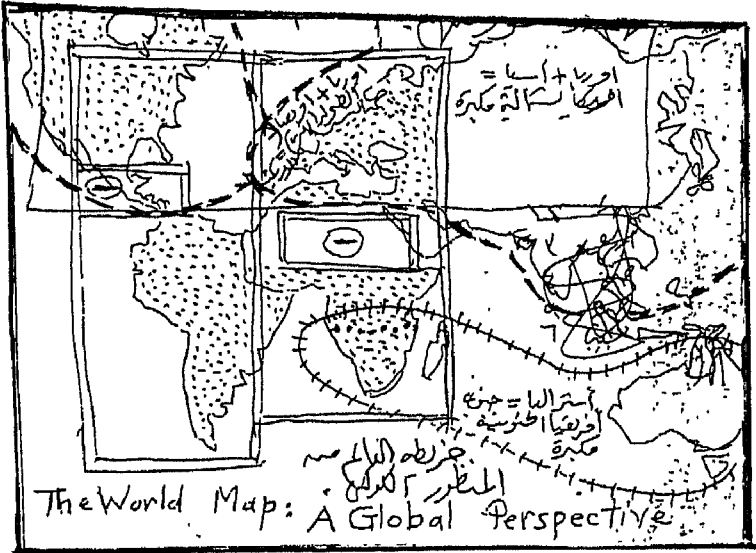
أوربا + أفريقيا (ـ الصحراء الكبرى) = الأمريكتين (ـ أمريكا الوسطى).

لا يبقى سوق استراليا خارج هذا المنظور الكوكبى لخريطة العالم . ولكنها أقرب شىء إلى جنوب أفريقيا حوالى مدار الجدى على تكبير (كلهارى هى صحراء استراليا مصغرة جدا) منها إلى أمريكا الجنوبية .

«خريطة العالم من منظور كوكبى» .

The World Map: A Global Perspective .





« خريطة العالم من منظور كوكبي »

الأطلس هو كتاب الجغرافيا الأول (والأخير؟) فهو منبع ومصب الجغرافيا جميعا .

من هنا كانت الخريطة هي شفرة الجغرافيا ومفرداتها إنها لغة الجغرافيا بامتياز، الخريطة هي اللغة الجغرافية الأساسية . وهي لغة عالمية غير مكتوبة وإنما مرسومة أو قل إن أبجديتها رسوم وإذا كانت الخريطة هي كلمة الجغرافيا، فإن الأطلس قاموسها .

والجغرافيا هي علم المكان **place Science** .

نقطة ضعف الجغرافيا القاتلة هي أنها يمكن الحياة بدونها . لن تتوقف الحياة أو تموت البشرية أو ينتهى التاريخ إذا لم تعرف جغرافيا!

هذا هو المقتل وهو جزء من مقتل الثقافة عامة فأنت لن تقوم القيامة إذا لم تكن مثقفا! بل ربما أرجح كنت أسعد وأنجح . [وأخو الجهالة فى الشقاوة ينعم!] .

ذو الجغرافيا يشقى فى النعيم بعلمه ، إلخ إلخ

الجغرافيا هي كل ما ترى العين خارج البيت أو الجدران **out of doors** كل ما نراه خارج البيت أى فى الطبيعة أو فى البيئة أو فى الشارع (أى خارج البيت) هو جغرافيا (بحتة!) فكل إنسان، جغرافى أو غير جغرافى، يرى الجغرافيا حيثما كان وأينما تحرك، بل إنه إنما يتحرك «فيها» ولا مهرب له منها البتة «حيثما تكونوا تدرككم الجغرافيا حتى ولو لم تدركوها أنتم!» وكل إنسان على الأرض له خبرة ومعرفة بالجغرافيا سواء أدرك هذا أم لم يدرك . فالجغرافيا علم بصرى ابتداء إن لم نقل أساسا، والأعمى وحده للأسف هو الذى يقع خارج الجغرافيا، لا يراها ولا يعرفها أى يدركها وإن هى أدركته طبعًا وحتماً . هذا يعيد تأكيد أهمية مدرسة اللاندسكيپ فى الجغرافيا . إنها

ليست نافلة أو بدعة، بل ضرورة وجود.



ليس هناك إقليم واحد فى المنطقة؛ هناك أقاليم عديدة فى الإقليم الواحد نفسه، عدة أقاليم بعدد فصول السنة أو تغيرات الطقس الدورية.



ليس المطلوب فى الجغرافيا الآن اللوغاريتمات والمعادلات إلخ، ليس المطلوب العلمية بهذا المعنى الدقيق الصارم، إنما المطلوب «الجمالية» الجغرافيا الجميلة، الجغرافيا كعلم جميل وهذا «فن».

وهذا يتسق مع مطلبنا من إلغاء العمل الميدانى بمعناه الحالى، وتحويله قصره على الرؤية اللاندرسكايبية والفكر المكانى إلخ .

لماذا؟ لسببين قاتلين: أولاً، استحالة وجود أى تربية الجغرافى الذى يجيد تماماً كل الطرق والوسائل المعملية لكل العلوم الطبيعية والاجتماعية، كالإنثروبولوجيا والتشريح، والجيولوجيا وتحليل الصخور والتربة وقياس المناخ الحديث (كله فضائيات الآن!).

حتى التخصص فى فرع واحد كالجيولوجيا أو الاقتصاد يستدعى معرفة كاملة بكل تكنيك الجيولوجيا والعلوم الطبيعية، أى تكرر طالب الجيولوجيا أو كلية العلوم بالكامل فحتى هذا مستحيل، ولو فعلته لخرجت من الجغرافيا ولم تعد جغرافيا.

ثانياً - لو فرضنا جدلاً الإحاطة الكاملة بتكنيك كل العلوم المعملية التى فى الدنيا، فماذا يجدى هذا الجغرافيا نفسها؟ لن نضيف إليها هى جديداً!
لهذا نعود فنؤكد أن حقيقة الحقائق وقانون الجغرافيا الذى يعلو كل حقيقة

وقانون هو أن الجغرافيا هي الجغرفة! عملية تحويل ما ليس جغرافيا إلى ما هو جغرافى .

كل جغرافيا أصولية هي «تكثيف استراتيجى» للفهم الأول الموازى أو المقابل : الجغرافيا التاريخية تكثيف استراتيجى للتاريخ .

الجغرافيا السياسية تكثيف استراتيجى للسياسة .

الجغرافيا الاجتماعية تكثيف استراتيجى لعلم الاجتماع .

وهكذا إلى آخره . -

لماذا تكثيف ، ولماذا استراتيجى ؟

التكثيف ، لأنه يأخذ ذلك العلم الأول فيعتصره اعتصارا ويختزله اختزالا ويكثفه إلى حد التضاضغظ الأقصى ، حتى لتصبح الجغرافيا الأصولية بمثابة «ما قل ودل» من العلم الأول الذى أطال فأقل ! .

الاستراتيجى ، لأن الجغرافيا تنتخب وتلتقط فى تكثيفها كل ما هو جوهرى وعميق وذال وفاعل فى العلم الأول ، الحدود دون تواتر والكليات دون الجزئيات ، والعموميات دون التفاصيل ، اللب دون القشر العمق دون السطح . . إلخ .

إن الجغرافيا علم استراتيجى حيث العلوم الأولية علوم تكتيكية كما قد تقول .



تعريف الجغرافيا هو جوهر فلسفة الجغرافيا ، بغير التعريف الجامع المانع الواضح القاطع تستحيل الجغرافيا لماذا؟ لأنها علم انتقائى ، انتخائى ، الحقائق والمعلومات التى تدخله هى اختيار واستبعاد . فعلى أى

أساس نختار ونستبعد، إلا على أساس تعريف منهجي حاسم؟
لذا فإن فلسفة الجغرافيا هي أساس علم الجغرافيا. لا جغرافية بلا فلسفة
المادة، فلسفة الجغرافيا.

لا جغرافى بغير فلسفة الجغرافيا .
ولا جغرافى ممتاز بغير الجغرافيا الفلسفية .

الجغرافى الكامل :

أنت إما جغرافى مؤيد، جغرافى مدى الحياة، من المهد إلى اللحد،
وأما أنت لا جغرافى على الإطلاق، لا وسط بين الجغرافى المطلق،
واللاجغرافى على الإطلاق.

فالجغرافيا لا تقبل شريكا قط، لا في العلم ولا في الحياة. أنت محكوم
عليك بالجغرافيا إلى الأبد، وإلا خرجت من حوزة الجغرافيا.

بمعنى لن تكون شيئا مذكورا فى الجغرافيا، إن لم تتفرغ لها تماما العمر
كله. وليس فى الجغرافيا شىء كفترة انقطاع تركها إلى حرفة أو مهنة أخرى
ثم تعود إليها، كلا، إنها نقطة اللا عودة، وليس هناك **Making a come**
backe.

الجغرافيا علم استقراء بلا قياس. كل بقعة عليك أن تعرفها بالذات أو
لن تعرفها قط لا مكان يمكن أن يكون بديلا عن مكان آخر ولا إقليم عن
آخر - فمعرفتك بكاليفورنيا جدا لا تغنيك عن معرفة حوض البحر المتوسط،
ولا هذا عن حوض النيل.

برودل : - **Geohistory / geohistoize - geo psychology** = نظرية الأفرقة
والطوابع القومية إلخ .

geosociologie = الجغرافيا الاجتماعية .

وتعريف الجغرافيا بأنها «علم» هو تعريف ناقص ، «والجغرافيا العلمية لا تجعل من الجغرافيا إلا «سندريلا العلوم» كما قيل . ما لم تكن الجغرافيا علما + فنا + فلسفة ، فإنها لا يمكن أن تضيف جديدا ولا أن تؤمن استقلالها وسيادتها العلمية .

والجغرافى بهذا أيضا هو «حاوى العلوم» ليس فقط بمعنى «خزنة أو حافظة» العلوم جميعا وعمومًا ، ولكن أيضا وبلا خجل بمعنى الحاوى الساحر أو الشاطر الذى يتلاعب بالأوراق فيخرج منها ما ليس فيها . وإذا كان فيتمان وغيره يدعون علنا إلى السرقة (الشريفة) من العلوم الأخرى ، فإن الجغرافى بهذا ليس فقط «اللس الشريف» ولكن أيضا «الحاوى الشاطر» والساحر الذكى . .

الجغرافى الكبير المفكر المخطط الموجه ، لا ينبغى أن يتعالى على أو يزدرى مدرس الجغرافيا البسيط ثانوى أو أقل — لماذا؟ أولا لأنه تلميذه أصلا ، ثانيا لأنه وحده هو الأداة التنفيذية ، الجهاز التنفيذى أى أدواته التنفيذية المباشرة والمتاحة .

ومع تهمة الموسوعية ، سواء صح أو لم يصح أن الجغرافى أغزر العلماء كتابة ، فالحقيقة الأهم والأقطع هو أنه أكثر العلماء قراءة . الجغرافى أكبر قارئ فى الدنيا . لماذا؟ لأنه لكى يكتب صفحة يقرأ ١٠ صفحات حتما وبالضرورة ؛ إنها قمة التكليف ، لأنها قمة التكثيف .

وحتى الخريطة الجيولوجية ، ينبغى على الجغرافى أن يجرفها تماما ، ولا يأخذها كما هى من صاحبها الجيولوجى ، لأنها تخدم أغراضه المختلفة قليلا أو كثيرا عن الجغرافى .

مثلا - خريطة مصر الجيولوجية ، التي نقلها الجميع عن بول خبط لزنق .



لا يكون الجغرافى جغرافياً إلا إذا كان فيلسوفا - نظرية .

لا يكون الجغرافى جغرافيا إلا إذا كان حمار شغل - نظرية أخرى .

النظريتان ليستا متعارضتين ، بل متكاملتان .

بالمثل النظرتان : نظرة الطائر المحلق .

نظرة الدودة المحدقة .

التلسكوب + الميكروسكوب .

الماكرو + الميكرو . . إلخ .



لا علم بلا جامعة ! محال تماما أن يعمل عالم ممتاز بالعلم خارج
جامعة (أو مؤسسة شبه جامعية كأكاديمية أو مركز بحوث إلخ) .

المهم ، لا بد للعلم من جامعة ما .

ولكن ، للأسف ، بمجرد أن يدخل العلم الجامعة يتحول إلى وظيفة ،
والعلم إلى موظف . أستاذ الجامعة ليس إلا موظف علم !

وبهذا يتحول العلم فجأة إلى تقليد وتقاليد - إلى علم تقليدى .

فالجغرافيا الجامعية الآن جغرافيا تقليدية صرف ، جامدة ، محنطة
شكلية ، متخلفة ، «وشغل حمير» أساسا .

المتقنف :

هو الإنسان الذى يتجاوز دائرة ذاته ، ليصل إلى المجتمع الأكبر كله ،

هو الإنسان القادر على أن يجعل مشاكل الآخرين هموما شخصية له . هو ضمير عصره سابق لعصره في إدراك الخطر المستقبلي والحلم بالمستقبل ، هو برج مراقبة للعالم من حوله ، يرصد ، يحلل ، يتوقع يتنبأ ، يحذر ، يخطط ، لا يضيع في التفاصيل وإن تابعها بكل تفصيل ، يحول الأشجار إلى نهاية ، والتكتيك إلى استراتيجية إنه مفكر استراتيجي كلى شمولي نبؤى ... الخ .

حسنا ، إذا كان هذا هو تعريف المثقف الشائع والأكثر شيوعا وقبولا ، فإن لم يكن هو تعريف الجغرافي فماذا يكون ؟
إن المثقف الجغرافي هو سيد المثقفين .

وسواء كانت الثقافة هي الأصالة أو المعاصرة والثقافة الجغرافية والجغرافيا الثقافية تضم الاثنين جميعا . فهناك التراث الجغرافي العربي الهائل ولا سدنة ولا خدم ولا حارس أو دارس إلا الجغرافي ، ثم هناك جغرافية اليوم وجغرافية الساعة وهي قمة المعاصرة .

كلا ، ليست قضية الجغرافيا أن تكون أو لا تكون إنما هي أن تكون فاعلة أو لا تكون ، فاعلة أو خاملة ، مؤثرة هامة أو غير ذلك .

وليست الجغرافيا «كشكول» العلوم ، ولا الجغرافي «مسجل» العلوم ، ليست الجغرافيا «سجل علوم» ولا الجغرافي هو «مسجل عموم العلوم» ، ليس مسجل توثيقي أو موثق علوم أو أرشيفي بدرجة عالم أو أستاذ كرسى الأرشيف العلمي العام .

الجغرافي الحق الذي جاء ل يبقى وخلق ليخلق هو الذي يولد «حيوانا جغرافيا ، ويعيش «عبدا جغرافيا» ، ويموت «قتيل جغرافيا» !
مأساة الجغرافيا في الحياة : العمليون يرونها عبئا لا داعي له ، والنظريون

يرونها عالة عليهم بلا داع ايا الضيعة الجغرافيا بين الرجل العملى والأكاديمى
النظرى !!

نعم ، العالم يصبح قرية كبيرة أو صغيرة - ولكن حذار من هيستيريا
العالمية (لعبة أمريكا والغرب ضد الآخرين خصوصا نحن) - المهم فى
الجغرافيا: لن يصبح العالم ؛ كذلك «إقليما» جغرافيا واحدا! قط ، ستظل
الجغرافيا هى الجغرافيا والعالم هو العالم - وما عدا ذلك ففسطة وفلسفة
مفلسة .

الوحدة الجغرافية تقول للعرب .

اعتصموا بحبل الجغرافيا جميعا ولا تفرقوا [كذا] .

وظيفة أو وظائف الجغرافيا المفتوحة هى ثلاث: التعليم ، التخطيط ،
الثقافة .

الأول يبيع العلم وإعادة توزيع وتوصيل ، أى أنك تتعلم الجغرافيا من
غيرك لتعلمها لغيرك - فلا جديد - وهذا هو السائد .

الجغرافيا علم اكتساب وتحصيل ، وليس علم حدس أو تجريب . فأنت
إن لم تعرف نهر الكولورادو فلن تعرفه بالحدس أى التهويم وفى حين
تستطيع أن تعرف النفس المريضة أو الزكية أو الفلسفة من خبرة الحياة
والآخرين فحسب - تماما كما سيعرفها علم النفس ولكن بدقة أكثر فقط .

الميثودولوجيا^(١) والمادة ، لأبد منها فى كل علم . ولكن لا تصل
الميثودولوجيا إلى قمة أهميتها وقيمتها فى أى علم كما تصل فى
الجغرافيا .

(١) معرفة وهى فى الإنجليزية Methodology أى المنهجية أو علم المنهج (الناشر)

بدون الميثودولوجي، الجغرافيا تافهة ولا شيء ء وصاحبها تافه ولا شيء ء .
أخطر من الفكر الجغرافي، الفعل الجغرافي! *gog. et actin* ميشيل
فيليبوتو.

ومن تعاسة الجغرافي وقدر الجغرافيا أنها لا ترضى عن أحد من
الاخصائيين ولكن أحدا منهم لا يرضى عنها بدورها! لا يعجبها أحد، ولكنها
لا تعجب أحدا!

ومن ضيعة الجغرافيا: الفلاسفة ينظرون إليها كعلم، والعلماء ينظرون
إليها كفن، والفنانون ينظرون إليها كفلسفة!!
كل العلوم الاجتماعية، وخاصة الجغرافيا (والتاريخ) ما لم تكن مطعّمة،
بل مشبعة، بل حبلى، بالفلسفة أى بالفكر، فإنها تفقد الكثير جدا من
قيمتها وجاذبيتها، من جدواها ومن بريقها.



مفيد جداً أن يوجد دائما الجغرافي المحترف التقليدى، المدرسى
(الجامعى) بكل عيوبه وميزاته، إلى جانب الجغرافي غير التقليدى،
الثورى، المجدد، الهادم، هذا مصل مضاد لذلك، والعكس. المطلوب
دائما ثورة جغرافية، وهذا يعنى تواترة على الجغرافيا وفى الجغرافيا من أجل
«جغرافيا ثورية».

ويبدو أن من الممكن نظريا وواقعا أن الجغرافيا التاريخ والدراسات
التاريخية تتقابل عند نقطة معنية يتوحدون فيها فى دائرة واحدة.
أليس مما له مغزاه، وأحيانا يدعو إلى السخرية أن بعض أعمال
الجغرافيين البشرية الإقليمية تتهم بأنها تاريخ، بينما أن بعض أعمال
المؤرخين توصف أو توصم بأنها جغرافيا وجغرافية (مثل بروديل)؟! .
أليس هذا دليلا على تداخل وتلاقى العلمين عند نقطة معينة. الواحد

يبدأ علم مكان ثم يتوغل في الزمان ويتغلغل ، والأخر يبدأ علم زمان ثم يخوض في المكان وينغرس ، حتى يصبح الاثنان وجها لوجه على أرض واحدة في لحظة ما؟

فعلا ، المكان هو العنصر الأساسي الوحيد الذي يجمع الأشياء والظواهر المختلفة جدا ويؤلف بينها وقد يوحدھا . المكان ، يعنى الجغرافيا .



كما يميزون في دراسة الفلسفة بين فرعين تاريخ الفلسفة ، والنظريات الفلسفية ، رغم التداخل الأساسي الأصلي بينهما ، فكذلك في الجغرافيا : هناك فرق ويجب أن تكون هناك تفرقة واضحة منهجيا بين تاريخ الجغرافيا ، وبين قضايا ومشاكل ونظريات الفكر الجغرافي والمنهج الجغرافي .

قد يعرف الجغرافيون ما يفعلون ، ما هم فاعلون ، (وإن لم يكن كلهم بالتأكيد - للأسف الشديد!) ولكن اللافت أن كثيرا من غير الجغرافيين من العلماء المختصين في فروع العلوم الاجتماعية وحتى الطبيعية كثيرا ما يتساءلون في صمت وفي قرارة أنفسهم عما يفعل بالضبط هؤلاء الجغرافيون! هم يرونهم على أفضل الأحوال مخلوقات علمية غريبة مثيرة للشك والريبة أكبر منها للاهتمام والأخذ بجدية .

هذا أمر معروف ووضع لا يجوز إنكاره أو تجاهله . وعلى الجغرافيا أن تعترف به وبمشروعيتها ، ثم عليها بالمقابل أن تتصدى له بالشرح والإقناع وإثبات الذات .

وربما لم تضيف الجغرافيا إلى المعرفة الإنسانية حرفا واحدا جديدا تماما

من عندها ، ولكنها مع ذلك تقدم أفضل وخير وعاء وشكل لتقديم المعرفة الإنسانية للشخص العادى والمواطن العالمى ليس هناك غيرها ولا أفضل منها وعاء لتقديم خلاصة وجماع ما توصلت إليه سائر العلوم من طبيعية واجتماعية للمتعلم العادى والمثقف العام . مثلاً لن يصبح كل متعلم فى الدنيا متخصصاً فى النبات أو الحيوان ، فإذا لم يعرف شيئاً عن الغابة الصنوبرية أو غابة المطر أو الاستبس أو الكنجارو أو الرنة . . إلخ فى دراسته الجامعية تحت بند الجغرافيا ، فأين ومتى سيعرفها؟ قط لن يعرفها ، أى لن يعرف العالم ولا أى شىء عنه .

وعلى هذا فقس مع الجيولوجيا ، مع الاقتصاد ، مع السياسة ، الاجتماع ، التاريخ . . . إلخ .

إذن ، الجغرافيا هى خير موصل جيد للمعرفة الإنسانية ، أجد موصل ، بل الأوحد ، وهذا فضل ، لو تعلمون ، عظيم .
ولكن هل هذا هو كل فضل الجغرافيا ؟
كلا بيقين ، فهى خير موصل جيد للمعرفة الإنسانية كحد أدنى ، أى عند حدها الأدنى .

أما عند حدها الأعلى ، فالجغرافيا مُوصِّل جيد للمعرفة الإنسانية ، ولكن بمعنى خاص وهذه قصة أخرى .

ما الدنيا إلا مسرح جغرافى كبير !!

على سالم المؤلف المسرحى يقول (!) :

« ثبت أن الجغرافيا أقوى من التاريخ ، وهى التى صنعت الماضى

وستتحكم فى المستقبل » . ولا تعليق !

النزاعات الأكاديمية والغيرة المهنية من المؤرخين والجغرافيين موجودة دائماً (خاصة فى فرنسا لأن العلمين كانا يدرسان معا دائماً) . وبعض

المؤرخين لا يخفى ازدرائه العلنى للجغرافيا . لايهم . المهم الآتى :

الجغرافيا أقوى من التاريخ - لا شك .

لماذا؟ لأن الجغرافيا تحكم وتصنع التاريخ .

ولكن التاريخ لا يحكم الجغرافيا ولا يصنعها !

وكعلم ربط بين العلوم ، الجغرافيا فعلا علم مفصلى ليس فقط بموقعها وسط العلوم الطبيعية والاجتماعية ، ولكن أيضا بربطها بين الظاهرات المختلفة فى المكان أفقيا «الإقليم» ورأسيا «الايكولوجي» مفصلى أفقيا ورأسيا .

مشكلة الجغرافيا هى مشكلة إنسانيتها . . هل هى «إنسانية» هل هى

ممكنة إنسانيا .

Humanly Physicaly .

والجغرافيون بالضرورة تلاميذ كل المتخصصين الآخرين ابتداء من الجيولوجيا حتى التاريخ . ولكن ماذا بعد هذه التلمذة أليست إلا «الأستاذة» فبعد أن يأخذ الجغرافى عنهم ، يصبح فى النهاية قائدا وأستاذا لهم . الأذق والأصح ، مع ذلك أن يقال : لا يبدأ الجغرافى وهو بالضبط تلميذ للإحصائى ، كما لا ينتهى وهو أستاذه تمام . وضع خاص فى الحالتين .

لا ثقافة بلا جغرافيا .

«الجغرافيا والحياة»

لا سياسة بلا جغرافيا .

جغرافية الحياة

لا تاريخ بلا جغرافيا .

الجغرافية الحيّة .

لا عمران بلا جغرافيا .

لا اقتصاد بلا جغرافيا .



حتمية الجغرافيا : علم لا بد منه هذا هو الجغرافيا مهما حاولت ، فلن

تفلت من الجغرافيا ، ولن تبيد الجغرافيا . إنها ضرورة علم حتمية بحتة .
هذه الحتمية الجغرافية هي طبعا غير الحتم الجغرافى المعهود إياه
(والمفترى عليه نسبيا أو نوعا ما)؟ فهي حتمية حميدة .
هل الجغرافيا ككشكول العلوم (كشكول الجغرافيا) ، بستان العلوم (بستان
الجغرافيا!) .

الجغرافيا فى عالم متغير :

هذه إحدى أهم مشكلات الجغرافيا المعاصرة وعليها أن تتصدى لها ،
وتحلها لكى تعيش «الجغرافيا أو الموت» أم الموت للجغرافيا «تسقط
الجغرافيا!» - «عاشت الجغرافيا!» !



إن الجغرافيا حائرة تدور حول نفسها ، تبحث عن دور جديد أو قديم
محدد ، عن مكان لها تحت الشمس ، شمس العلم والعالم الجديد ، عن
توجه وتوجيه جديد مفيد .

واتجاه الجغرافيا إلى الثقافة العامة مطلب حيوى ، مسألة حياة أو موت
ولكن هذا وإن كان يعنى تبسيط العلم والعلوم ، والشعبية **Vulgarisation**
فإن الأمر ليس بهذه البساطة أو السهولة .

التبسيط لا يعنى التسطیح فضلا عن التفاهة .

التبسيط ليس سهلا ، ولكنه ليس بهذه السهولة أو البساطة .

ولكن الخطر الأكبر الذى يهدد التوجه الثقافى للجغرافيا هو أن تسقط
أداة ولوى للسلطة والحكم كالصحافة - النزاهة العلمية والاستقلال الفكرى
شرط الثقافة الجغرافية مثلها هي شرط العلم الجغرافى والجغرافيا
الأكاديمية .

الجغرافيا أساسا = عملية + توزيع

distribution + process .

شئ غريب فعلا وحقا. موقع الجغرافيا بين العلوم يكاد يشبه موقع مصر
بين البلاد !

فهى علم مفصلى يتوسط العلوم، كما أن مصر موقع مركزى مفصلى
وسط العالم الجغرافيا تأخذ من كل العلوم فتصطنع منها عصيرا وكائنا خاصا
ولهذا السبب، وبصرف النظر عن التطور التاريخى، كانت الجغرافيا تالية
ولاحقة للعلوم كعلم، سابقة لها كتعليم بمعنى أن الجغرافيا تبدأ كعلم بعد
وجود العلوم الأولية الأخرى، وبعد أن تتم وتوجد، تصبح هى المدخل
الطبيعى للتعليم، ثم تليها العلوم الأولية.

هل الجغرافى الجيد هو الملك ميداس أم نصف إله؟ هل الجغرافيا
والجغرافى هى «نمل العلوم» أم «نحل العلوم»؟ هذا يسرق وينقل الطعام
ويستهلكه خلسة من تحت أقدام الناس، وهذا يعمل بنشاط مذهل متحركا
آلاف المسافات ليجمع الرحيق ويقدمه للإنسان؟

هل هو وهى - هما - «دودة قطن» أم «دودة قز»؟ هذا مدمر وهذا معمر؟
ولماذا؟ حتى المؤرخون أصبح بعضهم ينظر إلينا باستخفاف واستغراب
وتأفف! حتى أنت يا بروتس!

حسنا، قد لا يليق أن نقول إن الجغرافيا تقف على كتفى العلوم الأخرى،
لأنها فى النهاية تعيش عليها وتأخذ منها، لكن بالمقابل لا يصح أن يقال إن
الجغرافيا تقع تحت أقدام العلوم الأخرى.

إنها ليست سيدة العلوم (بالتأكيد) لكنها ليست خادمتها كذلك، ولا
سندريلا ما أكثر. فما هى وما موقعها بالضبط؟ فكرر!



لاحظ أن الصدفة التاريخية هى المقابل والنقيض للحتمية التاريخية.

بالمثل الحتم الجغرافى × الصدفة الجغرافية .
لا يتحول التاريخ إلى علم إلا بتخصيبه بالجغرافيا وبغير ذلك يظل كائنا
عقيما .

المدارس الجغرافية :

هى شبه حقيقية ، شبه تاريخية ، شبه جغرافية .
السؤال المحير والمحرج ولكن المحقق أو المحك فى الجغرافيا هو: هل
هذا جغرافيا؟ هل هذه جغرافيا؟ هل هذا جغرافى ؟
السؤال مشروع ووارد دائما . والجواب الصح هو هل هذا إقليمى أم لا؟
إن كان إقليميا ، فهو جغرافيا ، وإلا فلا .
والإقليم مركب لا عنصر .

هناك الإقليم الذى يعتمد على أرض وأمد محدد كالتربة أو المناخ أو
السكان . . إلخ هذا الإقليم إقليم عنصر، أو إقليمى أصول ، نسبة إلى
الجغرافيا الأصولية .

وهناك الإقليم الشامل بالمعنى الكامل أى الذى يضم كل عناصر
الجغرافيا الأصولية . هذا هو الإقليم الجغرافى الحق ، لنقل «الإقليم
الإقليمى» (على وزن النواة النووية - للتأكيد) أو الإقليم الجغرافى .

أو يمكن إن يميز بين الاثنين فتقول الإقليم التحليلى analytical والإقليم
التركيبى synthetic والجغرافيا أساسا علم تركيبى أو تخليقى Synthsis .

المدارس الجغرافية إذن مدارس وطنية أو قومية وهى بهذا أقرت شىء إلى
فكرة «الطوابع القومية» التى هى نسبية جدا جزئية أساسا ، وربما سطحية
نوعا .

إننا لا نرفض فكرة «المدارس» كلية ومن حيث المبدأ، ولكن نقبلها بتحفظات شديدة وتحديد صارمة كشيء أكثر من لا شيء ولكن ليس هو كل شيء.

«الجغرافى الكامل» بمعنى الشامل الذى يتخصص ويتبحر فى كل مجالات الجغرافيا وفروعها ودوائرها هو فكرة تجريدية بل خزائنه تماما. استحالة مطلقة. هناك تعم، الجغرافيا الكاملة لكن ليس هناك الجغرافى الكامل «الجغرافيا الكاملة» هى مجموع عشرات أو مئات من «الجغرافيين الجزئيين».

سواء لحسن الحظ أو لسوءه الفكر الجغرافى كان دائما وفى كل مراحلها مرتبنا بمراحل الفكر العلمى الفلسفى والحياتى العام ومتأثرا به - أيام التطورية تأثر بها، مثلا راتزل والدولة وأيام البيئة والايكولوجيا تأثر وكان الحكم الجغرافى أيام الماركسية تأثر وكان التخطيط والإقليمية والأآن البيئة والتلوث إلخ.

لا جديد، بالضبط تحت شمس الجغرافيا كل القضايا الرئيسية والمشكلات والأساسية والمحاور المحورية والأعمدة الفكرية والمجالات العريضة كل هذا له جذور وأصول قديمة بالغة القدم فى الجغرافيا، وعولجت ونوقشت منذ وقت مبكر جدًا فى بداية العلم ثم تكررت فى كل مراحلها، لكنها بالطبع تتطور وتتجدد، عمقا وعرضا واتساعا وأصالة وإضافة كالمد والجزر، كالتهييب والترقيع، كالتسريع والإبطاء، كالبندول وحركته المستمرة المزمنة. إذن جنين وجرثومة الجغرافيا كلها قديمة، مراحل جنينية وجرائيم يعنى.

مسألة وجود «مدارس» فى الجغرافيا، نقطة خطيرة جدًا تستحق التعمق

الجغرافيا علم أساسى لا فن أو قبل أن تكون فنا . موضوعية لا شخصية بالطبع معنى المدارس اتجاهات خاصة واهتمامات معينة وتكوين أو تلوين فكري متميز .

ولكن من ناحية أخرى ، كل الاهتمامات الأساسية والخطوط العريضة مشتركة بين جميع «المدارس» بالضرورة . والمسألة فروق فردية فى الدرجة لا فى النوع ، فى التركيز لا فى التخصيص .

معقول أن توجد بين جغرافى البلد الواحد ، بسبب وحدة اللغة ولتركز القراءة فى إنتاجها ، قاسم مشترك ما (أصغر) بين أفرادها ، يخلق نوعا من الجو المشترك أو الطقس أو المناخ الاهتمامى والمعلوماتى . . . إلخ .
ولكن دون أن يفصلهم ذلك عن العالم الخارجى «والمدارس» الأخرى .



الجغرافى أحد اثنين : إما فيلسوف جغرافيا ، وإما حمار جغرافيا .
بالمثل المؤرخ ، إما فيلسوف تاريخ أو حمار تاريخ .
فعلا ، فالجغرافيا فى جوهرها هى «فكر فى المكان» .

المعلومة والفكرة (أو الحقيقة والرأى) هما قطبا المادة العلمية — خاصة فى الجغرافيا من المعلومة نستشرف ونستنبط فكرة جديدة لا تلبث بعد أن تستقر أن يصبح بدورها معلومة جديدة . بهذا يتم تراكم المادة ، وتتناسل المعلومات والأفكار على التعاقب والتبادل .



يجب على الجغرافى أن يضع نفسه داخل وخارج الإقليم فى آن واحد :
داخله لكى يستنبطه ويسبر أعماقه ودخائله ، وخارجه لكى يراه رؤية كلية

شاملة وكذلك نظرة موضوعية بحثة مجردة .



للأسف كثير من الجغرافيا الجامعية هي مجرد «جغرافية أطفال» فحذار من جغرافية الأطفال؟ .

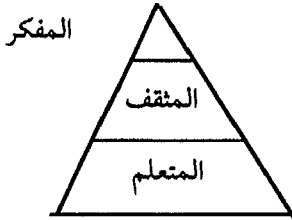


الفكر في المكان - في القصص والتطبيق يصبح «الفكر في الطبيعة وعلى الطبيعة» في المكتب والمكتبة يصبح هو «الفكر في الخريطة وعلى الخريطة» .

من هو المفكر، وما الفكر؟ كثيرون يوصفون أو يعدون من المفكرين ، وهم ليسوا كذلك في الحقيقة ، ولا حتى أنصاف مفكرين .

المفكرون الحقيقيون قلة وكل مفكر مثقف ، ولكن ليس كل مثقف مفكراً، تماما كما أن كل مثقف متعلم ولكن ليس كل متعلم مثقفا .

الواقع أن هناك هرما من ثلاث طبقات :



القاعدة العريضة جدا : المتعلمون .

الطبقة الوسطى القليلة : المثقفون .

القمة العليا الضيقة جدا : المفكرون .

فما هو المفكر ومن هم المفكرون ؟

الفكر مركب من ٣ عناصر :

العلم - الفلسفة - الفن وكل عنصرين منها وحدهما لا يصنعان مفكرا ولا فكرا .

المعادلة هي : الفكر = العلم × الفلسفة × الفن (بالضرب لا بالجمع ،

كناية عن التفاعل العضوى الخلاق بين أطراف الثلاثية) .

وهذا بالضبط هو الفكر الجغرافى فالجغرافيا فكر أولا وأخيرا . والفكر الجغرافى ، كالفكر عموما ولكن أشد وأكثر، هو تفاعل العلم بالفلسفة بالفن .

ومن هنا يأتى التجديد العلمى والإضافة .

والأفكار فى الجغرافيا هى الإطار الوحيد والضرورى لصب وترتيب المعلومات وهذا هو الحل الوحيد الحقيقى لمشكلة الجغرافيا الرهيبة ، وهى طوفان الحقائق والمعلومات اللانهائى القاتل مع قلة الأفكار والأنماط الكبرى الرئيسية التى نرصها وننضدها فيها . وبغير هذا تصبح الجغرافيا علما رهيب الحجم ، فاقد الهدف - غير هادف . الأفكار هى موجه ومجدد هدف الجغرافيا - البوصلة الجغرافية الأفكار بوصلة الجغرافيا والمعلومات جسمها وسفيتها . الأفكار قاطرة الجغرافيا ، والمعلومات قطارها أو مقطورتها !



التكنولوجيا والعلم المعقد جدا تغزو الجغرافيا كسائر العلوم . وستجعلها أكثر من أى وقت مضى علما مستحيلا ، أما عمل الغيط فسيصبح فى استحالة رؤية الوجه الآخر من القمر .

ولقد أتت ساعة الحقيقة على الجغرافيا بكل شجاعة وأمانة أنه تلقى بخرافة أو مسخ العمل الميدانى فى البحر ووراء ظهرها وإلى الأبد إنه خداع للناس ولكن الآن فى عصر التكنولوجيا والكمبيوتر والليزر والأقمار الصناعية وخرائط الفضاء . . أصبح خداعا قاتلا للنفس .

إنها الجغرافيا لا تتحرر برصاصة العمل الميدانى الفاسدة (المغشوشة)!



صفات مختلفة للجغرافيا : العلم المستحيل - المجنون - القاتل -
القاصم .

بهذا الحجم الرهيب والمجال المخيف ، لا يمكن إلا أن يكون نصف
الجغرافيا على الأقل أخطاء فاحشة ومروعة !

- يموت الجغرافي الجيد وفي نفسه شيء منها .

- يعيش الجغرافي الرديء وليس في نفسه شيء منها !



ولأن الجغرافيا تقف على أكتاف العلوم الأولية كلها ، على كتفى العلوم
الطبيعية من ناحية والعلوم الاجتماعية من الناحية الأخرى ، فإنها يمكن أن
تكون أكثر منها قسامة وأن تتفوق عليها أكاديمياً وفكرياً ونظرياً والواقع أن
الجغرافيا ، كما تمثل وحدة الدنيا والعالم كأرض ، تمثل أيضاً وتماماً وحدة
المعرفة الإنسانية والعلم كله . هي وحدها وحدة العلم والمعرفة - وكل ما
عداها اجتزاء جزئى وفصوص . الجغرافيا يمكن أن تكون قمة العلوم جميعاً ،
قمة المعرفة الإنسانية جمعاء .

هناك مشكلة أصبح من الضرورى حسمها ، بعيداً عن الجغرافيين من
«الباب الخلفى أو الجانبي» أى الذين بدأوا علماء متخصصين فى علوم
معينة ، ثم تحولوا منها إلى الجغرافيا بصورة «رسمية» أى احترفوا الجغرافيا من
أول وجديد ، فأصبحوا جغرافيين محترفين (محترمين) بكل معنى الكلمة . .
وطبعا لا يمكن أن يسموا بعد ذلك جغرافيين «هواة» .

هناك ناس يكتبون جغرافيا دون أن يقصدوا أو يدروا ويدركوا ، على هامش
كتاباتهم وتخصصاتهم أو فى تضاعيفها . إنهم ليسوا «هواة جغرافيين» لأن
الهاوى عاقد قاصد وهم ليسوا عاقدين قاصدين فى نفس الوقت لا يمكن

نفيهم تماما من الحوزة الجغرافية ، ولا ضمهم إليها طبعاً . إنهم «جغرافيون وما هم بجغرافيين» .



ما ومن الأسبق : الجغرافى أم الكارتوجرافى ؟

أولاً ، وبلا جدال ، الجغرافيا شىء مختلف تماما عن الكارتوجرافيا ، رغم العلاقة الحميمة جدا والخاصة جدا .

فى البدء تأتى الخريطة لكن من الذى صنع الخريطة ؟ الكارتوجرافى يقينا . ثم يأتى الجغرافى بعد ذلك ليجد الخريطة جاهزة ويقراها أو يملأها بتوزيعاته وظاهراته وقد ينتج فى هذه العمل خرائط جديدة من صنعه وصنع يده وعلمه فهل يعد بذلك كارتوجرافياً ؟

الرد قاطع : المعنى أن هناك نوعين من الخرائط : الخرائط الهيكلية ، التى تنقل صورة الطبيعة والأرض إلى الورق ، وترفع المكان ، هى خرائط قاعدية ، خرائط الأساس ، **Outlene maps maps basic, base maps** يصنعها الكارتوجرافى بكراً ولأول مرة بالرفع والمساحة من الطبيعة قبله لا وجود لها ، ولا قبل للجغرافى بها مهما حاول وهى أكيدا ليست عمله أو اختصاصه أو فى قدراته .

الخرائط التوزيعية : هذه هى شغل الجغرافى بعد أن يوفر الكارتوجرافى الخرائط الهيكلية السابقة ، يبدأ الجغرافى يوزع عليها ويملأ فراغها بالظاهرات الجغرافية المرادة ، سكان ، مدن ، كثافات ، تيارات هوائية كارتوجرامات . . إلخ ولكن هذه ليست خرائط إنشائية بالمعنى البكر ، أو إنشائية من الدرجة الثانية أو ثانوية **Secondary maps** .

بحكم طبيعتها الشمولية وحدودها الرهيبية (أو اللاحدودا) فإن التفاصيل

فى الجغرافيا تأخذ مكانا ومكانة وقيمة أقل بكثير مما لها فى العلوم الأولى لماذا؟ أولا للاستحالة المطلقة فى الإمام بملايين التفاصيل من كل علم: ثانيا، لأنها بهذا الحجم والاتساع يستحيل الإفادة منها جيدا والتعامل معها بفائدة وجدوى ثالثا، خشية أن يفقد الجغرافى نفسه فيها وتضييع الجغرافيا فى نهبها.

رابعا وأخيرا، لأن الجغرافيا تطبيقا علم استراتيجى علم الكليات، التفاصيل الدقيقة مجرد جسر بالنسبة إليها تصل منها إلى أهدافها الكلية والتعميمات الإقليمية والكوكبية إلخ

التفاصيل إذن هى مجرد وسيلة لا غاية فى الجغرافيا وجسر لا هدف. الجغرافيا لا تكرر العلوم الأولى من أول وجديد كما هى نقلا وسطوا، وإنما «تكرر» هذه العلوم بمعنى تنقيها وتعالجها . . إلخ إنه «تكرير» لا تكرار.

الجغرافيا لا تعيد العلوم الأولى فى طبعة أو نسخة جديدة، وإنما هى «تعيد إنتاجها وخلقتها تخرج منها جديدا، ليست إعادة طبع reprinting ولكن إعادة تحرير reediting .

إذن الجديد الذى طرحه الجغرافيا وتضيفه إلى وعلى العلوم الأولى هو «الحبكة العلمية»، الوصفة، الخلطة، التركيبية - وذلك هو الجديد وتلك هى الإضافة .



الجيوفيزياء = باطن الأرض .

الجيولوجيا = قشرة الأرض [٦ - ٣٠ كم].

الجغرافيا = سطح الأرض (= la face de la terre وجه الأرض حرفيا) .

كلمة الجغرافيا فى هذا التصنيف تعنى وتساوى الجيومورفولوجيا .
كلمة الجغرافيا الطبيعية كسابق قديم للجيومورفولوجيا كانت خطأ ، وكان
صوابا إسقاطها لأنها تعنى ، وينبغى أن تخصص فقط ، للنصف الطبيعى من
علم الجغرافيا جميعا كمقابل للجغرافيا البشرية .

وهذا هو الوضع الآن ، وهو سليم تماما .

بتشبيهه جسم الإنسان ، فإن :

الجغرافيا = البشرة القشرة الخارجة .

الجيولوجيا = الأدمة أو القشرة الداخلية .

الجيوفيزيا = باطن الجسم (؟) .

ما مكان كلمة فيزيوغرافيا فى هذا الهيكل هل هى مجرد تركيب مزجى أو
دمج **entraction** لكلمتى «جغرافيا طبيعية» .

ولكنها فى هذه الحالة لا يمكن أن ترادف فى الجغرافيا الطبيعية المعنى
السليم الحالى وهو مرادف الجغرافيا البشرية .

إذن لا يبقى إلا أنها ترادف الجيومورفولوجيا بالمفهوم الحالى السائد .

ولكنها انقرضت نسبيا وأزاحتها كلمة جيومورفولوجية تماما أو تقريبا .



الخريطة تقرأ إلى ما لا نهاية ، تقرأ عشرات المرات ، وكل مرة تكشف
جديدا فيها مهما نظر الجغرافى فى الخريطة وأمعن النظر وأطاله ، فلن
يستنفد كل ما فيها . كل نظرة = معلومة أو نظرية جديدة حيث الأولى
الهيكلية خريطة أولية **primiary** الثانية تبدأ من وتؤسس على أساس الأول
والجغرافى يبدأ حيث انتهى الكارتوجرافى (لا العكس طبعا) .

وهنا، كما فى مجالات وفروع الجغرافيا، ورغم العلاقة الحتمية الأزلية بين الجغرافيا والكارتوجرافيا، فإن الجغرافى يأخذ من الغير لىنى جغرافيتيه حتى الخريطة مستعارة، سلفة مؤقتة من الكارتوجرافى والجغرافى ناقل حتى على مستوى الخريطة نفسها.

الخرائط الهيكلية إذن هى سابقة للجغرافيا والجغرافى **pre - geograpy** .

والخرائط التوزيعية هى تالية ولاحقة لها **Post - cartographic** .

لهذا تبدو الجغرافيا بالنسبة إلى العلوم الأولية كالشعر بالنسبة للنثر. . . فى درجة التكثيف، فى الجماليات، حتى فى القيمة (فرغم أن الشعر أجمل من النثر عادة، فإن النثر أهم فى الحياة جدا!) .

الجغرافيا شعر العلم :

الجغرافيا هى شعر العلم الذى نثره العلوم الأولية .

العلم نثر شعره الجغرافيا .

العلوم الأولية نثر شعره الجغرافيا .

الجغرافيا، ذلك العلم المستحيل .

والجغرافى، هذا العالم المجنون !

هل هى محض صدفة أن عبء الجغرافى وهو الأطلس الذى يحمل على كتفيه بل داخل رأسه، يستمد اسمه من أطلس آله الجبال الذى يحمل الكرة الأرضية على كتفيه ؟ .

على الجغرافى أن يطيل النظر فى الخريطة، يدقق النظر، يعاود النظر، يديم النظر فالخريطة لاتمنح أسرارها ومكوناتها من أول نظرة، بل لمن يعايشها ويعشقها ويراجعها .

الكمال العلمى ، أى الكمال فى العلم مستحيل ، ولكنه فى الجغرافيا بالذات أشد ما يكون استحاله الكمال الجغرافى لله وحده - الجغرافى الأعظم !

للآخرين ، يبدو الجغرافى ضيفا غربيا من البشر ، وفى ذاته ، يبدو فعلا أنه كذلك !



هندسة المكان **Geo - engineering** هى الجغرافيا التطبيقية والهندسة الإقليمية **regional engineering** والجغرافيا الهندسية .

الجغرافيا هى علم المكان ، كما أن التاريخ علم الزمان البعض من المؤرخين يعرف علمه بأنه علم الزمان وليس علم الماضى بالمثل الجغرافيا : ليست علم الأرض بقدر ما هى علم المكان والفارق مفهوم .

الجغرافيا هى كل شيء ولا شيء ! هذه نقطة الضعف الكبرى فيها - والقوة أيضا !

إذا لم تكن الجغرافيا فوق الجميع ، فإنها حول الجميع ، وإذا لم تكن حول الجميع ، فإنها تحت الجميع وفى جميع الحالات فأينما تكونوا تدرركم الجغرافيا !

والجغرافيا ككل علم تتألف من عنصرين :

التحصيل + التفكير .

التحصيل + التأصيل .

ليس هناك جغرافيا جيدة وجغرافيا رديئة ؛ ثمة فقط جغرافى جيد وجغرافى رديء .

عملية الجغرافية هي أساسًا عملية هندسة، عملية شكل هندسى، وتشكيل هندسى للمادة الخام هي «قص ولصق» إلى حد بعيد، ولكن عملية ألغاز صينية أكثر منها حرفنة (حرفية) + ذكاء علمي .

وحتى الآن، دراستنا لجغرافية مصر لا تزيد على مجرد خدش سطحي .
لا جغرافية حياة بدون جغرافية ميدان .

الجغرافيا الفكرية هي وحدها الجغرافيا الخلاقة **Creative Geog** .
المطلوب هو جغرافيا فكرية، بعد الفكر الجغرافي جغرافية الفكر،
الجغرافيا المفكرة «الجغرافيا الفكرية **Thoughtful Geog**» .



السياحة استثمار في البيئة الجغرافية كما أن النقل استثمار في الموقع الجغرافي .



الجغرافيا كمادة خام فقط ثقيلة باردة، سامة، كالرصاص ! .
فقط حين يسلط عليها شعاع الفكر (الفكر هو شعاع الليزر في خامة رصاص الجغرافيا) تتحول إلى مادة شفافة مشعة صحية .
«المخيلة العلمية» هي أساس كل ابتكار وتجديد وخلق في العلم . هي مفجر الطاقة العقلية والإبداع العلمي (العلم إبداع) .

وطبعاً، هي شيء غير «الخيال العلمي» وقصصه . فهذا علم، وهذا فن .



إذا كان أبرز (وأروع) ما في الكرة الأرضية أنها بتنوعها الشديد جدا في كل شيء الناس، المناخ، النبات، البيئات إلخ فإن أهمية هذا التنوع ووعاءه الأساسي هو التنوع الإقليمي، أي تنوع الأقاليم، أو تعدد الأقاليم ببساطة إن

تعدد الأقاليم على وجه الأرض ، وانقسام سطح الأرض إلى عديد من الإقاليم هو أكبر نعمة على الأرض وعلى الإنسان ، ولولاها لكان عالما مملا منفراً إلى حد السخف وفقيراً إلى حد مدقع .

إن فى اختلاف أقاليمكم ، كما فى اختلاف ألوانكم وألستكم إلخ ، كما فى معنى الآية بل إن اختلاف ألوانكم وألستكم إنما مرجعه وأصله وجماعه اختلاف أقاليمكم .



أقاليمى التى قدمتها فى النظائر الجغرافية بين أوربا وآسيا (١) ليست أقاليم جوفاء ولا صماء . إنها أقاليم هيكلية لا تركيبية ، بمعنى أنها أقاليم تناظرية *Ararallelism regions* ، شكلية أكثر منها موضوع ، هندسية أكثر منها جغرافية .

ولكن لأنها أقاليم هندسية *Geometrie regions* فإنها أكثر الأقاليم الجغرافية جغرافية .

تنصب على الهيكل أكثر مما تنصب فى محتواه ومضمونه .



فكرة أوراسيا تحتاج إلى تعديل . هى تعبير جغرافى يساوى أوربا + آسيا ، وذلك باعتبار أن الأولى امتداد أرض واستمرار جيوديزى للثانية .

هناك أيضاً التناظر الجغرافى بين النظائر الجغرافية فى كليتهما .

ولكن :

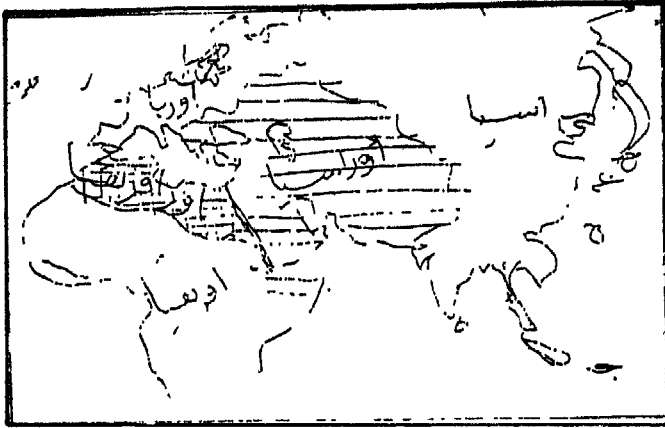
(١) انظر جمال حمدان بين أوروبا وآسيا ، دراسة فى النظائر الجغرافية ، القاهرة ١٩٧٢ (الناشر) .

قد يكون الأصح أن نقصر مفهوم أوراسيا على جانب الجغرافيا البشرية دون الطبيعية هنا يصبح المفهوم وظيفيا وعضويا حقا .

وهنا تصبح المنطقة من شرق أوروبا وغرب آسيا فقط هي أوراسيا الجديدة أو أوراسيا الصغرى ، أو أوراسيا الفعالة ، أو أوراسيا البشرية .

كيف؟ أساسا لأن السكان هنا انتقاليون بين الجنس الأبيض والأصفر، ليسوا أوروبيين ١٠٠٪ ولا آسيويين ١٠٠٪ .

والواقع أن هذه قارة جنسية حقيقية في قلب العالم القديم - بل أن فكرة القارات الثلاث في العالم القديم إن هي إلا فكرة جيوديزية^(١) بحتة لا تعنى من ثم كثيرا من الناحية الفعالة يمكن إعادة تقسيم قارات العالم القديم على النحو الآتى :



(١) كلمة معربة وهي في الإنجليزية "geodesy" ، أى علم هيئة الأرض ومساحتها . (الناشر)

أوراسيا - منطقة اجتماع أوروبا وآسيا من سهول آسيا الوسطى والتركستان حتى البلقان والمجر، هي ثانی بوتقة جغرافية تاريخية، ولكنها من جنسين اثنين فقط هما الأصفر والأبيض - بينما كانت منطقة الشرق الأوسط الكبير السابقة من ٣ هي أجناس الأبيض والأصفر والأسود.



بعد كولمبس وكشف إضافة في العالم الجديد تفجرت أكبر بوتقة في التاريخ مهمينا: أمريكا + جنوب أفريقيا نسيبا (أستراليا لا) وهي سائرة إلى جنس واحد بعد قرون مهما كان، وقريبا سيصبح الملونون أغلبية والبيض أغلبية كما أعلنوا إحصائيا.

آخر وأحدث وأصغر بوتقة هي أوروبا قلعة الجنس الأبيض التاريخية الكبرى الآن تنهار بالتسرب والتسلل والجاليات الأجنبية من الجنوب فرنسا هي بروتوتيب أوروبا، والباقي على الطريق، إنجلترا، ألمانيا أسبانيا، إيطاليا. إلخ.

مع الحضارة الحديثة المذهلة بكل مكوناتها وعناصرها والتقارب الجغرافي والتضاغط الجغرافي قرية كوكبية ستصبح الأجناس البشرية أشد تلاحما وتداخلا واتصالا ببعض، وذوبانا واختلاطا حتى تنشأ يوما ما جنس سائد في العالم من اللابيض اللاملونين على غرار النمط المصري الفرعوني. ستبقى صورته طبعاً لقرون. ولكن ستصبح الاستثناء لا القاعدة ومجرد حفریات تاريخية تذكر بماضى العلم الجغرافي.

إن انثروبولوجية العالم تتحول من تعدد الأجناس قديماً إلى جنس واحد وأحاديت الجنس في المستقبل البعيد.



للمناخ (الغلاف الجوي) تأثير رهيب على طبيعة الإقليم الجغرافية
(بصرف النظر عن الناس تماما).

فالغلاف الجوي يشكل ويعيد تشكيل الغلاف الأرضي كل يوم وكل ساعة
ولكن أساسا كل فصل كيف؟ إن الإقليم الواحد (الأرض) يختلف في مظهره
والإحساس به في فصل الصيف مثلا عنه في فصل الشتاء الأرض واحدة
وثابتة، ولكن الجو متغير، ومعه يتغير مظهر وشكل وجو الأرض نفسها.
فمصر صيفا، أرض مصر، وغيرها شتاء.

وقطعة من مصر شتاء قد تبدو كقطعة من إنجلترا مثلا إقليم الفن والبرودز
يشبه الدلتا أو الدقهلية شتاء ولكنهما يختلفان تماما صيفا بينما قد تتشابه دلتا
الدقهلية صيفا مع دلتا المسبى .

- إن المناخ بشكل ويعيد تشكيل وجه الأرض ومظهرها وتأثيرها وانطباعها
باستمرار وبقوة نادرة .



نفكر عادة في الجو باعتباره عنصرا «هوائيا» أى شديد الحركة والتقلب
دائما - وبمفهوم المخالفة مع الأرض - أمنا الأرض - بالغة الصلابة والبيئات
. Restless atmosphere

لكن الواقع أن الأرض في حالة حركة وانتفاض دائمة لا تنقطع كل يوم
تحدث حرفيا ملايين الهزات الأرضية في كل الدنيا ترصد أو تفوق الرصد،
ولكننا لانحس بها قط . إذن الأرض في حركة دائمة باطنيا وسطحيا، ولكن
دون خطر بالضرورة دائما! Our Restess Earth .

هناك إذن متوالية تصاعدية من حيث الحركة .

الجو شديد التقلب والحركة .

المحيط والماء متوسط الحركة والتقلب .
الأرض أقل حركة وتقلبا لكن متحرك ومتقلب .



الجنس البشرى يتحول الآن ولأول مرة فى التاريخ البشرى والبشر إلى
«جنس» واحد ووحيد! نعم جنس ، الجنس البشرى - بعد أجناس . .
كيف ؟

لقد مر العالم بأربع مراحل من الاختلاط الجنسى والامتزاج والتحاور
(الدموى) أو بأربع بوتقات جنسية تاريخية : اثنتان قبل كولمبس والعالم
الجديد ، واثنتان بعده .

قديمًا فى العصور القديمة : كان الشرق الأوسط الكبير (من إيران حتى
المغرب) هو أول وأقدم بوتقة فى التاريخ يحكم الموقع الوسطى بين تلاقى
القارات الثلاث والأجناس الثلاث متحف موزايكو، بوتقة هذا هو
البروتوتيب ، الأركتيب والنموذج المصرى القديم قمته ، وهو الآن بوصلة
ومسودة العالم المعاصر والمستقبل .



كل البيئات الطبيعية سكانها هم «أبناء الطبيعة» بدرجة متفاوتة إلا المدن
وسكان المدن - أيضا بدرجة متفاوتة تاريخيا ثم جغرافيا فالمدن الحديثة
الضخمة مقطعة من الطبيعة ، منفصلة عنها إلى حد بعيد أو بعيد جدًا (مع
ذلك فسكان الضواحي وهوامش المدينة يقتربون نسبيًا من الطبيعة) .
فالمدينة طبيعة مصطنعة ، «طبيعة ثانية» .

(حتى سكان الريف هم أبناء الطبيعة ، وإن لم يكونوا بدرجة أبناء
الصحراء أو الجبال أو الغابات إلخ) .

- الرأسمالية هي نهاية التاريخ (فوكوياما) حسنا ، هي نهاية التاريخ
بمعنى نهاية الإنسان نهاية البشرية . الرأسمالية هي يوم القيامة !
ومصر المعاصرة انتهت إلى الرأسمالية المسعورة وهذه هي نهاية التاريخ
- نهاية مصر الرأسمالية كنهاية التاريخ لا تعنى إلا أنها «نهاية الجغرافيا» !
كلا ، يافوكوياما ، وأنصاره : القضية ليست «نهاية التاريخ» بل «نهاية
الجغرافيا» ! .

إن الأساس القاعدي الدفين وغير المنظور القومية (وإن كان منظورا
للعيان) هو العنصر أو الجنس أو العرق .
القومية عنصرية أساسا والجنسية هي الجنس نهاية ولا خداع في هذا ولا
خطأ . لماذا؟ إن القومية التي نعرفها ونسميها هكذا اليوم هي بحدأفيرا ما
كان يسميه ابن خلدون في أيامه العصبية بتاعة العصور الوسطى هي جوهر
قومية العصر الحديث .



التقسيم التقليدي الثلاث لكتل قارات العالم القديم يخفى الحقائق
الجغرافية ويبرز الشكليات فقط .
إنه تقسيم جيوديزي لا جغرافي وهو «قارات جيوديزية» لا قارات
جغرافية .

أما القارات الجغرافية الحقيقية والفعالة في العالم القديم فهي ٥ :
أوروبا ، أوراسيا ، أورافريقيا ، أفريقيا ، آسيا .



فكرة تقسم العالم إلى ٣ عوالم رئيسية (الأول ، الثاني ، الثالث) ليست

دقيقة تماما . فالفكرة ليست إقليمية صارمة جامعة مانعة ، بقدر ما هي فكرة قطاعات متداخلة بنسب مختلفة أى تركيبية أو توليفية من القطاعات الثلاث بنسب مختلفة .

فالعالم الثالث ، موجود فى كل من العالمين الأول والثانى ، ولكن بنسب قليلة ، منها يصل إلى قمته فى العالم الثالث . الذى لا يخلو من شرائح من العالمين الأول والثانى (طبقية أو مكانية) .

وهكذا العالم الثانى كان (ولا يزال) يضم شرائح من العالم الأول والثالث بنسب مختلفة فكان الاتحاد السوفييتى فعلا مكونا منه .

٣ نطاقات أو مجالات من العوالم الثلاث .

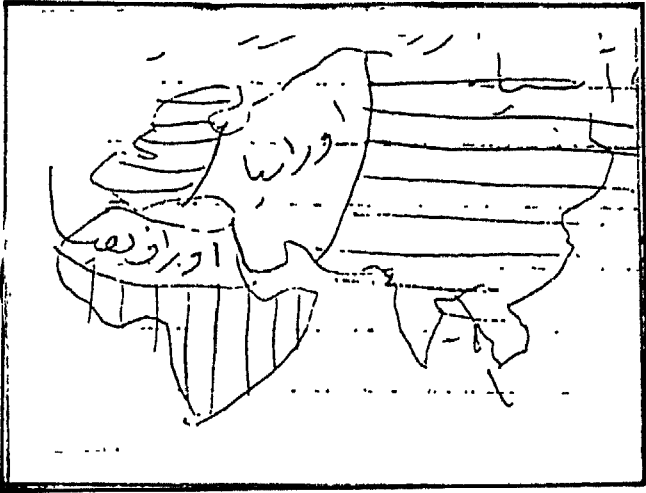
وهذا كله ما يؤكد أن فكرة الأقاليم البشرية فى العالم كله هي أقاليم جغرافية نسبية جدا مختلطة كثيرا ، وليست صارمة قاطعة قط . (وهذا طبيعى) .

لم تعد فى العالم (الديناميكي جدًّا المتباغض جدا) أقاليم جنسية نقية أو متجانسة كله مختلط تقريبا . حتى أوربا لم تعد بيضاء . وكذلك استراليا بعد سياسة **all white Austr alia** إلخ .

بينما كان العالم الجديد كله (والآن + كثيرا) ملونا مختلط الأجناس منذ البداية - وقريبا سيصبح أغلبية أمريكا (والولايات المتحدة) من الملونين أو المخلطين !

إن الجنس الأبيض لا ينقرض فى العالم فقط ولكنه ملون فى عقر داره !







مذكرات في
الجغرافيا السياسية

الفصل الثالث
العرب
والعالم العربي
٣

الفصل الثالث

٣

العرب والعالم العربي

العرب والعالم العربي

فى العالم العربى وجيوبوليتكية تشابهات واضحة مع القوى وصراعها وتوازنها فى أوربا طبعا على تقرب ومع تجاوز كثير .
أولا كان المغرب العربى كله ومازال ضعيف التكامل فى كل شىء مع المشرق العربى . هذه قضية الجغرافيا وقدر تاريخى من هنا كان معزولا أو منعزلا بدرجة ما مثلما كان دائما الأبخ الأصغر، والمشرق العربى الأبخ الأكبر وكان المغرب ولا يزال يشكو من تباعد وتجاهل المشرق العربى له . . إلخ .

المهم فى كل هذا الوضع ، كان المغرب العربى أشبه بأمريكا الشمالية والولايات المتحدة فى مرحلة الاستعمار البريطانى فكان المغرب العربى مستعمرة فرنسية معزولة ومقطعة خارج العالم العربى تقريبا .
فى المرحلة الثانية ، استقلت الولايات المتحدة وعاشت فى عزلتها بنى

نفسها كقوة قادمة فى ظل مبدأ مونرو. هذا هو وضع المغرب العربى اليوم
استقل عن الاستعمار الأجنبى ، وبدأ يبنى نفسه دون أن ينغمس كثيرا فى
مشاكل المشرق العربى وتبعاته ومتاعبه .

قد يأتى الدور الثالث يوما لينا فاس على زعامة العالم العربى علنا (حدث
أحيانا من جزائر بومدين وفشل).

أما مصر فدروها كبريطانيا فى مرحلتها كانت بريطانيا أيام الامبراطورية
العظمى زعيمة أوروبا وبعيدة عنها ومتعالة عليها . . . إلخ هكذا كانت مصر
إلى ما قبل إسرائيل والبتروى العربى .



بعد أن حاربوه طويلا وبضراوة ، قبل العرب الإسلام وأقبلوا عليه بحماس
لا يقل هوادة ، ربما لأنهم أدركوا أنه أعظم استثمار قومى أتيح لهم فى
التاريخ . ولعلهم انقضوا عليه لينشروه بقوة وعنق خارج الجزيرة فعن طريقه
فرضوا سيادتهم ولسانهم على المنطقة وعلى عالم بأسره وكونوا لأنفسهم
رصيدا تاريخيا وقوميا يعيشون عليه إلى الأبد فضلا عن المكاسب المادية
البحثة .

لقد خرج العرب من الصحراء ودخلوا التاريخ بفضل الإسلام وما كان لهم
هذا ولا ذاك بدونه لم يكن الإسلام بالنسبة للعرب رسالة من السماء فقط ،
ولكن أيضا نجدة من السماء . God send .

التاريخ يصنع نفسه :

ليس الإنسان هو الذى يصنع التاريخ وإن بدا كذلك ، أو كان هو الأداة
المنفذة إنما يصنع التاريخ نفسه ، بمعنى التاريخ المكتوب بيد القدر .

فالتاريخ ليس التاريخ المكتوب بيد الإنسان ولكنه التاريخ المكتوب بيد

القدر وممكن أيضا أن نقول: الإنسان يكتب التاريخ ولكن القدر هو الذى يصنعه. القدر يملئ والإنسان يدوّن هذا إملاء وهذا تسجيل .
قبل الإسلام، لم يكن عرب الجزيرة أمة ولا كان لهم تاريخ . حتى أمة بلا التاريخ لم يكونوا، بل مجرد حفنة أو شردمة من القبائل المتحاربة المتعاركة، المتطاحنة المتعددة اللهجات وأحيانا اللغات، وهى إن لم تكن تقع خارج التاريخ فإن لها تاريخ «فولكلورى» على أكثر تقدير .
كانت الجزيرة فى قلب الجغرافيا ولكن مع ذلك فى قلب ما قبل التاريخ .

كالاستبس خارج الاستبس، ولكن على مستوى أعلى ونتائج أبقى .
دخلت الصحراء التاريخ حين خرجت من الصحراء ودخلته من أوسع أبوابه .
كانت امبراطورية الاستبس فى أرضها - جنكيزخان - أوسع امبراطورية عرفها التاريخ إلى الآن كما يقال .

ولكن لعل الامبراطورية الإسلامية كانت أكبر أبعادا ومساحة وعلى أية حال فقد كانت امبراطورية الاستبس توسعا أفقيا بحثا، محض توسع مسطح بلا عمق بعكس الامبراطورية العربية الإسلام، مسطح + عمق طويلة العمر، معمرة، حيث الأخرى قصيرة العمر جدا .

السبب: الفارق الحضارى: هذه مخزن من أجل الغزو والتدمير والتخريب ليس إلا، ولكن هذه فتح بناء متحضر .

هل كان عرب الجزيرة قبل الإسلام بلا حضارة كما كانوا بلا تاريخ؟
حسنا، كرامة كانوا «نصف - حضارة» (كروبير)، وإن شئت فقل حضارة فولكلورية بجانب تاريخهم الفولكلورى .

من هنا تفاعلت شرارتهم مع دول الحضارة بمعنى الكلمة، أى بالمعنى المادى، ولكن كانت لهم بالضرورة - ككل الجماعات البدائية على أية حال

- «ثقافة» (لا أحد في الدنيا بلا «ثقافة» مهما كان بداييا وكانت بدائية - قانون انثروبولوجي عام وأساسى) .

ومع ذلك إذا قورن بدو الصحراء ببداية الاستبس ، فيمكن أن نقول إن عرب الصحراء وصحراء العرب . كانت لها ثقافة دون حضارة ، بينما لم يكن لبداية الاستبس لا حضارة ولا ثقافة .



بدأت القومية العربية الحديثة «كوحدة ثقافية» رَوَّج الأدباء وأمثالهم في الثلاثيات وحواليها .

والآن انتهت القومية العربية كما بدأت مجرد وحدة ثقافية .

وعبر مسيرة متعثرة محزنة فشلت القومية العربية كوحدة سياسية أو اقتصادية أو حتى عسكرية .



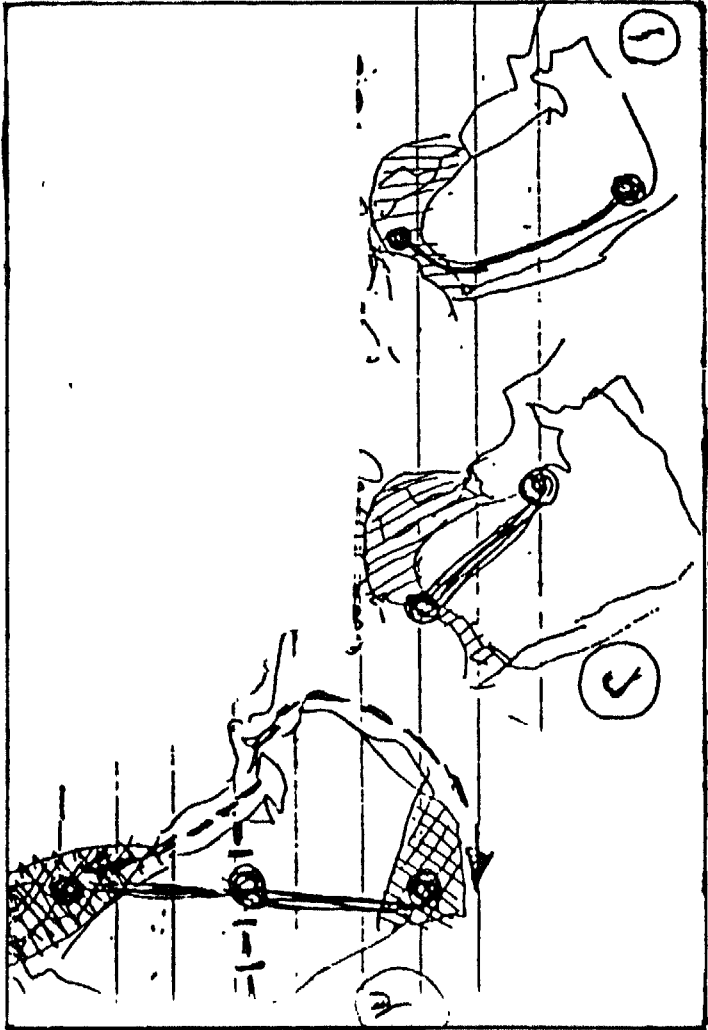
طوال التاريخ كان هناك محور تاريخي جغرافي ما بين العراق واليمن ، وكانت اليمن دائما متأرجحة بين ، ومرتبطة بكل أو بأى من العراق والسعودية (أو ما سبقها) والمحور أصله قوس مائل يتبع سواحل الخليج وبحر العرب ولكن انجرف بعد ذلك إلى قاطع مستقيم عبر الجزيرة في الوقت نفسه نذكر محور الشام - اليمن عبر غرب الجزيرة وتهامة .

وأخيرا محور الخليج - الشام .

أى أن هناك ٣ محاور محورية .

تختط الجزيرة العربية - الهلال الخصيب .

يضاف محور عبر الجزيرة على الخاصة بين الخليج والحجاز .



فى العصور الوسطى كان العالم العربى مستهدفا من جانب أوروبا المسيحية . لم يكن العالم الإسلامى مذكورا لأن جوهره كان العالم العربى ، والباقى شبه ظل ولذا كان الصدام بين أوروبا والعرب . ولكن كان هناك ندية كاملة ولذا كان العالم الصراعى المعروف هو دائرة - أوروبا - العرب ، نواة ذات فلتين ضخمتين متكافئتين .

الآن أصبح العالم الإسلامى كله بما فيه العالم العربى مستهدفا أولا ، لأن العالم كله أصبح صغيرا والعالم الإسلامى جزء منه . ثانيا ، لأن منذ الاستعمار والسيادة الأوربية والأمريكية أصبح العالم الإسلامى كله مجرد نوية قديمة صغيرة داخل جسم الغرب الضخم الذى لف الكرة الأرضية لفا . أصبح العالم الإسلامى مجرد أسفين ضخم فى قلب العالم الكروى ، أو مجرد دينوصور منقرض ملقى كجثة شبه هادمة وسط العالم المعاصر .



لا يكون الدين دينا إن لم يكن دنيويا ! فالدين للحياة ، (لا للدين (؟)) ، وبالتالي علمانى بالطبع . الدين علمانى بالطبع .

وعكس العلمانية أو الدنيوية هو الأخروية فالعلمانية ليست الإلحادية ، بل هى الوسط بين الدنيا والأخرة الدين الوسطى ! يضع قدما فى الدنيا وقدما فى الأخرة .

لا دين بلا دنيا ، كما لا دنيا بلا دين الجسم للدنيا ، والروح للأخرة ، للدين .



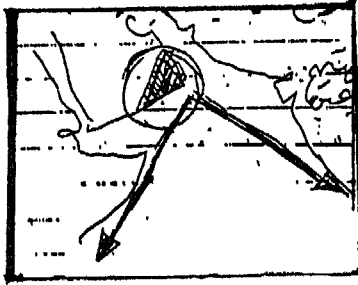
مثلث عُمان هو أقل أجزاء الجزيرة العربية ارتباطا بسائر أجزائها السبب تطرف الموقع + صحراء الربيع الخالى + الاكتفاء الذاتى النسبى للغنى

النسبي لذلك لم تكن هناك محاور حركة أساسية بين عمان وسائر الجزيرة، على عكس اليمن أو الحجاز أو الحسا. بالمقابل يساعد هذا الانعزال على الاتجاه إلى البحر، فالهند فالتهنيد عُمان هي أكثر أجزاء الجزيرة تهنيداً بينها الخليج.

رغم وجود محور سطحي بين الخليج حتي بحر العرب، فإن قطاعات الساحل ظلت جزرا منفصلة كالعقد المنفرط كل في حاله.

سؤال: لماذا اتجهت عُمان إلى شرق أفريقيا، واليمن حضرموت إلى جنوب شرق آسيا؟ أي بالمعكوس «وخلف خلاف»؟
ظاهرة مثيرة جدا، ومحيرة.

هل كان لاتجاه الرياح الموسمية صيفا والتجارية شتاء دخل في هذا؟
اتجهت عُمان وجهتين جنوبا شرقا إلى الهند، وجنوبا غربا إلى ساحل الزنج وشرق أفريقيا الأخرى مع الرياح التجارية الشمالية الشرقية (رحلة الشتاء).



والأول إلى الهند تتعامد على رياح الموسمية صيفا والتجارية شتاء أي تضادها فهل يكون السبب هو اتباع الساحل واتجاهه وتوجيهه تباديا لتعارض الرياح؟



رغم السمترية نظريا، فإن عُمان معزولة عن سائر الجزيرة العربية أكثر من اليمن فاليمن أقل انعزالا وأشد ارتباطا واتصالا حتى بين اليمن وعمان فإن العلاقات أقل مما بين سائر أجزاء الجزيرة السبب الربع الخالي. لكن اليمن وحضرموت اتجهتا إلى الجنوب الشرقي البعيد (والأبعد) متعامدة في رحلتها

على كل من الرياح الموسمية والتجارية أولاً، ثم متجاهلة ومتجاوزة كل عالم الهند على الطريق ثانياً، فلماذا؟ مازال التفسير مطلوباً .

هذا يذكرنا بالبرتغال - لماذا لم تدخل البرتغال المغرب العربي، أو حتى المغرب الأقصى مراكش، وتركته لإسبانيا رغم أنها الأقرب والأكثر مواجهة وبحرية؟ .

بل لماذا تركت كل أفريقيا العربية، بل وتخطت الرأس، ولم تعرف سوى أنجولا ثم موزمبيق والأغرب: لماذا تركت إسبانيا كل أفريقيا تقريباً بل العالم القديم كله (عكس البرتغال) واتجهت إلى العالم الجديد؟ .



كانت الصحراء مشتت الأديان، والرعى مدرستها .

الأديان الثلاث في مثلها لم تظهر لا في الصحراء المطلقة ولا المزروع الكامل بل على جهة التماس والالتحام بين القلب الميت والحلقة السعيدة .

وهذا أعطاها ميزات عديدة للانطلاق والانتشار لو كان الإسلام نزل في مصر لأصبح ديناً «نباتياً» مزروعاً في أرض مصر (كالقبطية) وحدها ولما انتشر .

لو كان نزل في الصين لصار معزولاً في أقصى الدنيا . وبالمثل لو في أفريقيا الزنجية .

من أكثر تأثراً وارتباطاً بأفريقيا السوداء وأكثر تزنجياً: مراكش أم الجزائر أم تونس؟

طبعاً تونس أقلها لبعدها عن الصحراء ورغم تعمق الجزائر في الصحراء فإن هذا وضع سياسى جديد لا يعنى الكثير، بينما كان المغرب مراكش هو الأشد اتصالاً وتأثراً بأفريقيا الزنجية وغرب أفريقيا بحكم أن طريق الحركة

الأساسى بين المغرب الكبير وغرب أفريقيا كان دائما الطريق السفلى .
بالمقابل ، فإن نسبة العروبة والتعريب فى المغرب الكبير تقل على
العكس من الأثر الزنجى كلما اتجهنا غربا ، بينما تزداد البربرية + الترنج .
من ناحية ثالثة ، كان ارتباط مناطق المغرب . ووحداته الثلاثة بأوروبا أقوى
فى مراكش وتونس منها فى الجزائر بحكم الوضع الجغرافى - (الطريف) أن
السيطرة الأوربية عليهم جاءت بالعكس ، ورغم أنها أقل ما كانت وأحدث ما
أتت فى الجزائر، إلا أنها أحدث شكل الابتلاع المطلق بالاستعمار
الاستيطانى !



العرب مجموعة من الأقارب العرقيين قبل الإسلام بكثير. ولكن درجات
القرباة متفاوتة ، وأحيانا محدودة . الإسلام والتعريب دعم هذه العلاقة وضخ
فيها دما جديدا .

كما قلنا ، كما تقل نسبة العروبة غربا فى المغرب العربى الكبير، تزيد
نسبة الزوجة والأثر الزنجى ، أى أن العروبة والزوجة تتناسبان تناسباً عكسياً .
يلاحظ أيضا أن وضع المغرب الأقصى (مراكش) فى هذا يشبه وضع
مصر على الجانب المقابل من الصحراء - فكما بسبب النيل فى مصر، زاد
تدفق الدم الأسود فى مراكش بسبب الساحل محور الحركة الأساسى هناك .
ثم تأتى الجزائر بنسبة أقل من الترنج ، بسبب تعمقها فى الصحراء
واقتراب قمة النيجر شمالا . وهى فى هذا مثل ليبيا إلى حد بعيد .
ثم بين الجميع تأتى تونس ، منفصلة تقريبا عن الصحراء وبلا عمق ،
وبالتالى أقل الجميع ترنجا .

أى أن تونس هى نقطة الوسط وقلب الميزان فى أفريقيا شمال الصحراء ،
فهى أبعد نقطة عن الزوج وأقلها تأثرا بالدماء الأفريقية ، ثم منها يمينا ويسارا

تزداد نسبة الدماء الأفريقية باطراد حتى تبلغ أقصاها في أقصى الطرفين: مصر ومراكش (مع ملاحظة أنها أكثر في مصر منها في مراكش، لأن النيل كان موصلا جيدا أكثر مما ينبغى للدماء السوداء من طريق الساحل الأطلسي .

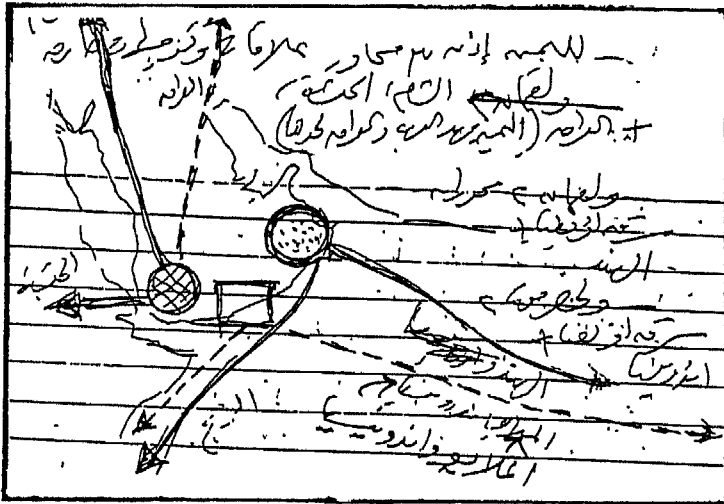
لليمن إذن ٣ محاور علامات وتوجيهات خارجة الشام، الحبشة، + العراق (اليمن مهد العرب والعراق لحدها) .

- ولعمان ٢ محوران .

- شرق أفريقيا + الهند .

- ولحضرموت ٢ .

- شرق أفريقيا + إندونيسيا .



ظاهرة عجيبة فعلا:

الأتراك والترك والعثمانية مارسوا «القفز الضفدعي» ليس في امبراطوريتهم شمال أفريقيا فقط ولكن في trek هجرتهم غربا .

فمن وسط آسيا بدأوا الهجرة غربا، ولكن قفزوا على إيران، ليتوطنوا في الأناضول أشبه شيء بقطار له قاطرة (في الأناضول) وله سبنسة (التركستان) تركها منفصلة عن القاطرة وبدون قطار في الوسط (إيران) .

والآن تعود تركيا تبحث عن السبنسة المنفصلة ولكنها تجد إيران في ظهرها كعربة حنطور يقودها حصان نحو العرب، والآن «كرباج ورايا أسطى»!

تركيا هنا عميل لأمريكا (حصان طرواده) بينما إيران عدو لأمريكا .

ويبدو أن جمهوريات آسيا الوسطى خرجت من التبعية الروسية لتقع تحت الوصاية الأمريكية!

ترك الأتراك لوطنهم الأصلي في آسيا الوسطى واستبداله بجديد هو الأناضول، يشبه ويسبق هجرة الأوربيين إلى العالم الجديد وأمريكا واستبدالهم وطنا بوطن إلا أن الفاصل هنا المحيط، ولن هناك كتلة متداخلة صفيقة هي إيران .

الصراع بين إيران وتركيا حقيقى جداً على الزعامة في الشرق الأوسط وغرب آسيا .

والغريب جدا أن هناك تناظرا كاملا في استراتيجية الصراع بينهما يشبه ويكمل التناظر الموافق العام العجيب .

فكما يتفق، هما يؤلفان رأسى حربى فى مواجهة إحداهما الأخرى ومن خلف كل منهما يمتد عالم مساعد يغذيها بالقوة وأسباب القوة والدعم .

فإيران اليوم نجحت في استقطاب كل آسيا من خلفها تقريبا، تمدها بالسلاح (والنوروى) وعلاقات صداقة وثيقة أو وثيقة جدا: الصين، الباكستان، الروسية، حتى الهند، بل حتى اليابان التي رفضت تحجيم أمريكا لعلاقتها مع إيران.



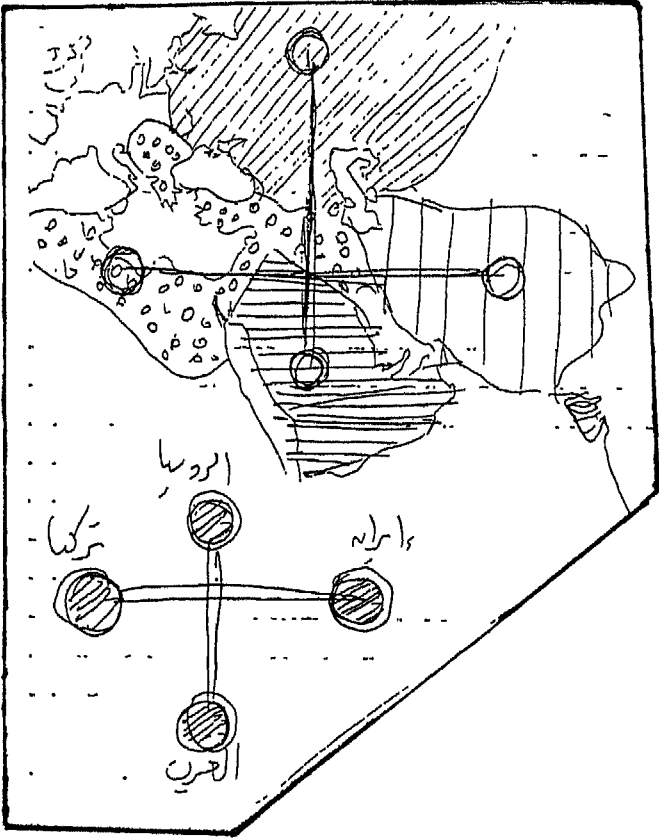
منذ العصور الوسطى فقط تاريخ الصراع الامبراطورى فى شرق أوروبا وغرب آسيا والشرق الأوسط والعالم العربى؟ هناك ٤ امبراطوريات تعاقبت أو تعاصرت وبينها دائر الصراع كصليب كالموضح.

أقدمها إيران فى الشرق، وهى سابقة للعصور الوسطى.

ثم فى العصور الوسطى ظهرت الامبراطورية العربية من الجنوب ثم تلتها الامبراطورية العثمانية فى الغرب ثم أخيرا وآخرها الامبراطورية القيصرية فى الشمال.

إن التوجه الطبيعى سياسيا وحضاريا واقتصاديا للعالم العربى والشرق الأوسط كله هو إلى أوروبا لا إلى أمريكا مهما كان التفوق الأمريكى والسيادة والسيطرة الأمريكية.

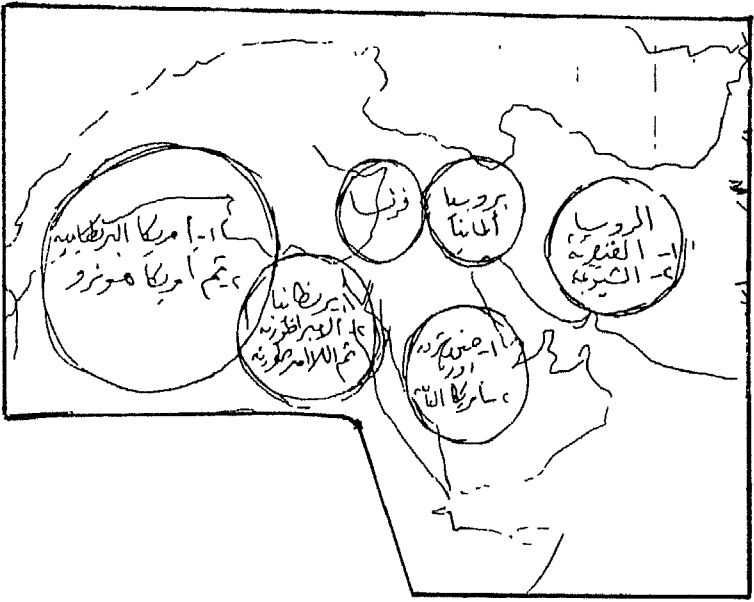
لكنه البترول أساسا وإسرائيل أولا، هما اللذان حرّفا التوجه الطبيعى من أوروبا إلى أمريكا (+ انحدار أوروبا) (طبعا) لكن لولا إسرائيل + البترول لكن المشرق العربى كله (كالمغرب العربى حاليا) بوصلته أوروبا أساسا لا أمريكا ولذا نجد الآن أن المشرق العربى منطقة نفوذ أمريكية بحتة، بينما المغرب العربى منطقة نفوذ أوروبية فرنسية.



أما إيران فهي تشبه بالروسية القيصرية أيام الشاه، انقلبت إلى الاتحاد السوفييتي وثورته وأيديولوجيته مع الثورة الخومينية .

أما الشام (خاصة سوريا) فهي ببساطة فرنسا العرب : الزعامة الأيديولوجية والروحية والتقدمية السبابة ، ولكن بلا قوة مكافئة - العراق هو روسيا العرب وألمانيا - صراع القوة + التخلف ، وعقد تاريخية .

أما الجزيرة العربية فكانت أشبه بجنوب شرق أوروبا والبلقان . وضعف وتخلف ورجعية إلخ . إلى أن قلبها البترول المجنون إلى أمريكا ولكنها التابعة لأمريكا .



هل العرب عائلة لغوية فقط ، أم هي أيضا أصلا عائلة جنسية واحدة؟
هل المتكلمون بالعربية الآن هم أصلا أقارب جنسيا بدرجة أو بأخرى ، أم
أشتات جنسية بلا قرابة عرقية؟

هناك دراسات مبعثرة لو صحت لكان كل العرب الحاليين (= المتكلمين
بالعربية) هم أصلا أقارب جنسيا بل وعائلة جنسية واحدة .



كارثة فلسطين إسرائيل هي ببساطة كالاتى : طلبت الصهيونية العالمية
دولة لليهود فى فلسطين فأسسها لهم العرب !

المعنى : قيام إسرائيل وضياع فلسطين هو مسئولية العرب والعجز العربى
والخيانة العربية والجبن العربى والتفرق العربى .

الذى حدد نتيجة الصراع العربى الإسرائيلى هو الصراع العربى - العربى .
الفلسطينيون لم يبيعوا فلسطين لليهود ولكن العرب هم الذين باعوا
فلسطين والفلسطينيين لإسرائيل !

بعضهم يقول : القومية أيديولوجية - كالشيوعية وكالإسلام . إلخ .

وكما سقطت الشيوعية سقطت القومية ، وجاء الإسلام لبقى . . إلخ .

حسنا ، الشيوعية أيديولوجية ، كالأسمالية ، وبعيدا عن الإسلام الذى هو
دين أولاً وآخراً ، وليس أيديولوجية بالمعنى الجارى ، فإن القومية ليست
أيديولوجية على الإطلاق ، نأخذ بها أو نرفضها ، تنمو أو تندثر . . إلخ

إنما القومية «طبيعة» ، عنصر طبيعى كالتضاريس والجبال والأجناس . .
إلخ من معطيات الطبيعة ، وتحديد الجغرافيا وإن أبدت بعدا تاريخيا ، هو
بدوره جغرافى أصلا .

أثبتت كل التجارب والأحداث أو سوف تثبت إلى الآن، أن الحقيقة المحورية الوحيدة التي تدور حولها الحياة السياسية والوجود السياسي في العالم هو: القومية لا بديل عنها ولا مفر منها ولا مييد لها.

كقطعة الفلين على الماء، مهما غمرتها بالقسر في غياهب الماء تطفو إلى السطح حتما.

القومية هي سنة الحياة السياسية.

الوطنية قبل القومية وفوقها، تاريخيا وسياسيا، رأسيا وأفقيا.

بمعنى أن الوطنية سابقة للقومية زمنيا وتاريخيا، وسابقة عليها تراثيا وقيمة.

إن قبول العرب نهائيا بضياح فلسطين نهائيا وتثبيت إسرائيل نهائيا، وهو مقابل الخروج الأندلسي مع فروق، سيكون اعترافا بل إعلانا من العرب عن إنهاء وحل العروبة والقومية العربية نهائيا وإلى الأبد. بمعنى أن أمة قررت حل نفسها واعتبار ذاتها ليست أمة - تماما كما أعلن الاتحاد السوفيتي حل نفسه وإنهاء وجوده كدولة.

وفي الحالين، فإنه انتحار سياسي وقومي على مبدأ «بيدي لا بيد عمرو» والعدو المضاد في حالتنا هو إسرائيل، وفي حالة الاتحاد السوفيتي أمريكا. وفي الحالين، فإن أمريكا هي القاتل النهائى عن بعد remote assassin.



نابليون هو أول أصحاب فكرة إقامه دولة يهودية في فلسطين أي إسرائيل!!



لقد نجحت الصهيونية في إنهاء وإفناء القومية العربية التي لم تكن قد بدأت بالكاد وكانت في مرحلة التكوين والنمو بالمعنى الحديث - إذ يبدو أن إسرائيل لن تزول أبداً فإذا ما بقيت فهذا حتماً هو زوال القومية العربية إلى الأبد إنهما نقيضان مستحيل اجتماعهما .

إذا كان اليهود يقولون : لا معنى لإسرائيل بدون القدس ، فنحن نقول لهم : لا معنى للعرب بدون فلسطين .

الكوارث السياسية التي أصابت العالم العربي + آثار البترول ، سببت مرحلة أو عصراً من التحركات السكانية والهجرات والتبادلات السكانية + التزاوج الكثيف بين الدول العربية . دياسبورا^(١) الفلسطينيين في العالم العربي جعلت الآلاف منهم يتزوجون عرباً آخرين كالمصريين والعرب ، المصريين والليبيين .

بوتقة عربية حديثة وخطيرة :

[وهكذا أصبح في الشرق الأوسط بوتقان متضادتان بوتقة إسرائيل ، بوتقة العرب] .



أقطاب الشرق الأوسط الثلاث ، مصر ، إيران ، تركيا ، بينهم منافسات وصراعات إقليمية حتمية ، أرادت أم لم ترد ، والمسألة مسألة توازنات جيوبوليتيكية لا إرادية . وثلاثتهم غرماء ومتنافسون رغماً عنهم . كل ارتفاع هنا ، يعنى انخفاضاً هناك (إسرائيل دخيل هزيل إلى زوال) .
ولكن فروق هامة جدا بين الغرماء الثلاثة !



(١) دياسبورا Diaspora أى «الشتات» (الناشر) .

حقيقة هامة . ولكن الحقيقة الأغرأ هي أن مصر والعالم العربي هي كذلك أيضا من الناحية الجنسية فهي مجمع الأجناس ومفرق السلالات ا عندها تتقارب كل الأجناس الرئيسية ، وتتباعأ معظم السلالات الفرعية .
الارتباط هنا والتناظر ليس عشوائيا بل هو وظيفي وعضوي ومنطقي ، بسبب الموقع الجغرافي الأوسط .



إضافة إلى العالم العربي ، والعالم الإسلامي أصبح هناك عدة «عالم» جديدة العالم الجديد العالم الثالث .
العرب أخرجوا من التاريخ ، ولكنهم بأنفسهم «استقالوا» من الجغرافيا ا



مذكرات في
الجغرافيا السياسية

الفصل الرابع
الإسلام
والعالم الإسلامي

٤

الفصل الرابع

٤

الإسلام والعالم الإسلامي

الإسلام والعالم الإسلامى ...

إنثروبولوجية الإسلام الحضارية :

ولاشك أن الإسلام اليوم يمثل عنصرا غير متكيف تمام Misfit مع حضارة العصر التى هى أساسا حضارة الغرب . وهى مشكلة المسلمين لا الإسلام طبعاً ، ولكنها دائماً يتم إسقاطها عليه (القاعدة هى مرادفة الإسلام بالمسلمين ، وإسقاط المسلمين على الإسلام لا العكس ، وهذا هو الخطأ الجذرى والعمدى الذى يلجأ إليه كل نقاد الإسلام من حيث هو إسلام) .

وإذا كان الإسلام اليوم ضعيفاً مغلوباً على أمره ، والسيادة والسيطرة لأوروبا والغرب المسيحي خارج كل حدود ، فإن هذا الوضع ليس قديماً أو أصيلاً بل حديث طارئٍ منذ العصور الحديثة . تماماً كما هى قصة التوازن وصراع القوة بين أوروبا وآسيا .

فقدئما فى العصور الوسطى وما قبلها كانت أوربا تقع تحت مطرقة آسيا والآسيويين وغاراتهم واحتلالهم قرونا، وكانت الغلبة دائما للرعاة الآسيويين . . . إلخ ثم انقلب الميزان رأسا على عقب منذ البارود فى العصور الحديثة، وأصبح العالم الآسيوى مستعمرة لأوربا تقريبا .

نفس الشئء بالنسبة العالم الإسلامى (مع ملاحظة التداخل الجزئى جغرافيا بين العالم الإسلامى والعالم الأوراسى) .

ففى العصور الوسطى كان العالم الإسلامى سيد أوربا وغازيها . بعد العصور الحديثة انقلب الميزان .

المهم فى هذه النقطة هو ذلك التشابه التاريخى فى تطور علاقة القوة بين كل من العالم الإسلامى والعالم الآسيوى وبين أوربا المسيحية والغرب الأوروبى .



الأقليات الإسلامية خارج العالم الإسلامى تقابلها الأقليات غير المسلمة داخله . جزر فى هذا المحيط مقابل واحات فى تلك الصحراء . وكلتاها تمثل منطقة انتقال دينية بين كتلة الإسلام وغير الإسلام، أى مساحة من الوصل (بقدر ما هى من الفصل) بين عالمين، أو قل مساحة رمادية بين الأبيض والأسود فهى تقرب بين النقطتين وتخفف من التناقض والتضاد بينهما ولذا فهى مفيدة كعامل ربط نسبيا، أى ليست شرا مطلقا أو شرا لابد منه، أو شئء لا خير فيه وإنما هى شئء لا بد منه .

على الجانب الآخر هى تبدو «كرهائن» فى يد الطرف الآخر، تقع تحت رحمته بالقوة، وفى الأزمات تصبح تحت رحمته بالفعل، فيكون الاضطهاد . . . إلخ .

كان العالم العربى فى الشرق الأوسط بمثابة «مرتفع قوة»، أشبه بالجبل المحذب العالى ، ولكن تحول الآن إلى «منخفض قوة» تحيط به مرتفعات القوة من كل الجهات (إيران + تركيا + الغرب) فتحول من جبل إلى أخدود - ولسه قتل أصحاب الأخدود» .

كان الصراع الثنائى بين الشرق والغرب إلى أن انتهت الحرب الباردة الآن بكل الصراع أصبح بين الشمال والجنوب .
حسنا ، الأصح أن يقال بين الشمال والعالم الإسلامى .

والعالم الإسلامى هو القطع السياسى الحقيقى والفعال والمتحضر من العالم الثالث والجنوب والعالم الإسلامى من الجنوب وليس فيه ، بل ليس فى الجنوب تماما بالمعنى الجغرافى ، وإنما هو الوسط إنه أوسط إنه العالم الأوسط - جغرافياً وحضارياً وثقافياً وجنسياً وبشريا إلى آخره .

لذا فإن الصراع الحقيقى انتقل اليوم إلى معادلة جديدة : معادلة الصراع : الشمال ضد الوسط (لا الشمال ضد الجنوب) .

بعض الغرب ينظر إلى الإسلام على أنه الخطر الجديد والعدو الجديد بعد سقوط الشيوعية والسوفييت إلخ .
هذا علنا وحرفيا .

والمقصود أن الصراع الأيديولوجى السابق حل محله صراع أيديولوجى جديد فالإسلام كعقيدة هو أيديولوجية - أيديولوجية مضادة لأيديولوجية الغرب ، وللغرب ، وحضارة الغرب . إلخ وقديما قال البعض إن (الإسلام = الشيوعية - الإلحاد) أى باستبعاد الإلحاد يقرب الإسلام من الشيوعية أو الشيوعية من الإسلام شيوعية مؤمنة (لا ملحدة) أو فلنقل اشتراكية مؤمنة (لا ملحدة) باعتبار أن الخلط بين الاشتراكية والشيوعية قضية معقدة .

ولأن الإسلام اشتراكية أو شيوعية مؤمنة لا ملحدة، فإن خطرهما أشد من الشيوعية أو الاشتراكية الملحدة السابقة، لأنها مسلحة بأياب دينية ومن هنا حرب الكراهية والعداء الرهيب من الغرب.

ليس هذا بالشىء المقلق أو المحزن أو المفزع أو المفجع بالضرورة، على خطره وخطورته، ومأساته ومأساويته. لماذا؟ لأنه رغم كل شىء ورغم أنف العدو المقطوع، دليل ندية ما، شبهة ندية اعتراف بأن العالم الإسلامى ليس جثة هامدة أو كمًّا مهملا *quantite negligeeable*. المهم فقط أن يرتفع العالم الإسلامى إلى مستوى التحدى بنجاح، فحينئذ يثبت ذاته وأهليته ونديته ويفرض احترامه والاحترام المتبادل والمساواة المتبادلة ليبدأ سلام الشجعان وصلاح الفرسان وربما تكون هذه العداوة هى مفجّر الفرصة والنجاح.

الإسلام اليوم يعيش الحضارة الحديثة المعاصرة (أى الغربية أو الأوروبية) ولكنه لا يعيش نمط الحياة الغربية *genre de vie*.

هو يقبل الحضارة الغربية، لا «المجتمع» الغربى. هو مندمج حضاريا، مختلف مجتمعيًا. من هنا الخلاف والاختلاف غير قابل للذوبان فى الحضارة الحديثة، يعيش خارج الحضارة الحديثة لا يمكن هضمه كما لا يمكنه هضمهم. هذا يعتبره بعض الغربيين تحديًا، التحدى الإسلامى المزعوم، والذى يهدد حضارة الغرب وربما حياة الغرب ولكن هذا وهم - أو هام العوام والخواص والخواجة - أو هام الخواجة.

فعلا - انتشار الإسلام وتمدهه ملحمة جغرافية فريدة لا مثل لها قط بين الأديان هذا التوسع القاري القرنى خرافة تاريخية تقريبا ولكنه حدث.

وحدود العالم الإسلامى اليوم تمتد من المحيط إلى المحيط (الأطلسى -

الهادى) ومن البحر إلى البحر (البحر الأسود إلى بحر العرب) ومن البحر إلى المحيط (المتوسط — الهندي). ومن البحيرة إلى البحيرة (بيكال - فيكتوريا).

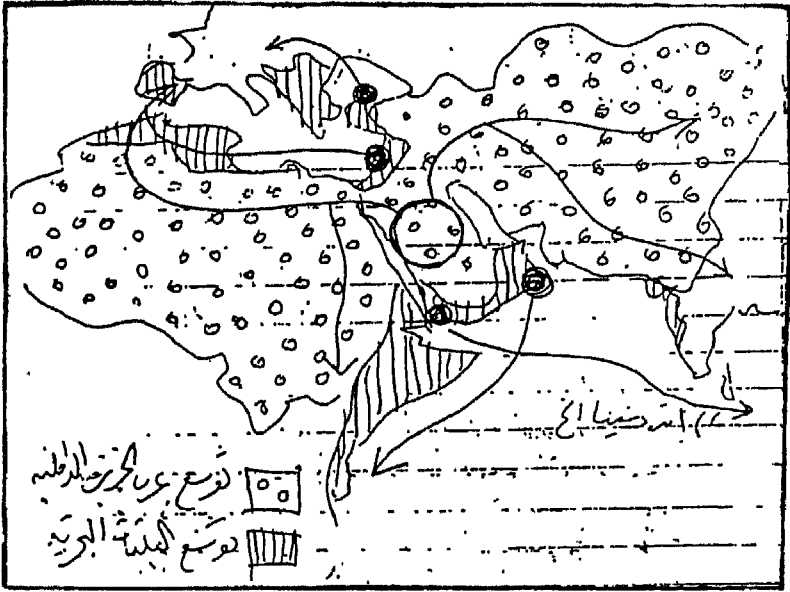
- الإسلام دخل أوروبا من الغرب ومن الشرق الأندلس والبلقان.
كانت القاعدة فى الأولى الشام الأموى، وفى الثانية الأناضول العثمانى.

هاتان هما البيئتان البحريتان التى توسع منهما الإسلام شمالا.
وهناك بيئتان بحريتان أخريان فى الجنوب توسع منهما الإسلام بحرا -
عُمان إلى أفريقيا واليمن إلى الهند الشرقية .
وما بين الاثنين بيئة قارية برية هى التى توسع منها عرب الجزيرة الداخلية
ليغضى قلب القارات فى آسيا وأفريقيا .
لاحظ دور الشام التوسعى كبيئة بحرية : قديما إلى قرطاجنه (تونس). ثم
إلى المغرب فالأندلس .

لقد قفز عرب الإسلام رؤوس ولا نقول جثث البيئات المستقرين
وتجاوزهم إلى أبعد آفاق الإسلام على رؤوس المصريين إلى المغرب غربا
وإلى السودان جنوبا .

فالذى نقل الإسلام وأدخله إلى المغرب وإلى السودان ليس المصريين
ولكن عرب الجزيرة عبر مصر).

وهكذا فعلوا شرقا على رؤوس العراق .



الدولة الإسلامية العالمية الواحدة هي محض هوس ديني محموم،
جاهل، معتوه.

لماذا لا يطالب آخرون بدولة واحدة للمسيحية العالمية؟ ثم ماذا يحدث
لو تحقق وهم أو سغه الدولتين العالميتين الواحدتين الإسلامية والمسيحية.
أفيقوا واعقلوا أيها المسلمون الجاهليون .

الزاوية القائمة الثالثة في شرق المتوسط (الشام + تركيا) كانت مركز
انتشار الإسلام في أوروبا: الشام إلى الأندلس، وتركيا إلى البلقان (لا فضل
لمصر قط في نشر الإسلام جغرافيًا!) سوى الدور السلبي، دور الممر لا
المكّر، المطية لا الفارس).

من اللافت بشدة أن أهم خصائص أو صفات الإسلام هي نفسها أهم

خصائص وصفات أرض الإسلام ، أى العالم الإسلامى ، وهى التوسط والاعتدال فى الحالين . فالعالم الإسلامى متوسط الموقع تماما فى العالم القديم ، وبيئته الطبيعية أقرب إلى الاعتدال بحكم هذا التوسط (موقع متوسط ، وموضع معتدل) أما الإسلام فيقال لنا دائما إنه دين التوسط والاعتدال لا إفراط ولا تفريط لا تطرف ولا تعنف .



فعلا أوروبا والعالم العربى (+ الشرق الأوسط) هما وحدهما شركاء التاريخ البشرى الفعال . هما فرسا رهان التاريخ والحضارة والسياحة والاستراتيجية والدين والصراع والسلم والحرب . وإذا كان هناك تنافس وصراع ، فهذا إنما يؤكد النديّة وأنهما فرسا رهان . وإذا كانت أوروبا تنكر هذا ولا تراه ، فهذا عمى ألوان .

من هنا يجب ألا ننفصل عن أوروبا ، باعتبارنا وحدنا الأعرق والأقوم والأكثر أصالة وقربا فى عالم إما قديم ولكنه معزول تماما كالمجهول أو غير الموجود (الشرق الأقصى) وإما جديد محدث طارئ (أمريكا) . وكما يتقارب الأوروبيون أنفسهم داخل أوروبا بعد صراعات ألفية رهينة وذكريات مريرة ، فإن الدور ينبغى أن يأتى على أوروبا مع العرب والمشرقيين (الشرق الأوسط) .

لمصلحة الطرفين ذلك على الأقل لإحداث التوازن ضد القادمين الجدد الذين يهددون كلا الطرفين ، وخاصة الطغيان والهيمنة الأمريكية المجنونة . ولأن أطراف العالم الإسلامى الجنوبية سواء فى آسيا البحرية أو أفريقيا الساحلية تلقت إسلامها من الجنوب العربى ، عُمان وحضرموت ، فإنها قد تأثرت بمذاهبها الدينية فنجد الشيعة فى الحاليتين نتيجة للزيدية من اليمن (والإسماعيلية فى شرق أفريقيا) كما نجد الإباضية من عمان ، وكذلك

الشافعية فى الملايو (من اليمين) .

نفس الشىء نجده فى غرب أفريقيا من تأثير الإباضية والخوارج والفواطم من أطراف المغرب الصحراوية (وهى أطراف العالم الإسلامى عمليا) .
كل هذا لا نجد لهما مثيلا أو مقابلا على الأطراف الشمالية للعالم الإسلامى حيث تسود السنة والحنفية! بتأثير عرب القلب ثم الأتراك .
[هل نستنتج قاعدة عامة أن الإسلام يتدهور نوعيا فى جنوبه عن شماله ، وفى شرقه الأقصى عن غربه؟] .

مفارقة غريبة جدا الملايو (وسنغافورة) كانت مركز نشر وضح الإسلام فى جنوب شرق آسيا لكن سنغافورة (الدولة) الإسلام فيها أقلية ضئيلة جدا :
١٧٪ فقط! السبب الهجرات الأجنبية من الصين والهند بوذييين وهندوس هذا «خداع الهجرة» (على وزن خداع الأرقام - أرسطو) .



مناطق الدخول والخروج فى العالم الإسلامى : كل من الإسلام والبترول أثر عليها وعدلها قديما كانت الجزيرة العربية إقليم خروج للسكان ولموجات البشر بعد الإسلام تجاذب إليها المؤمنون وأقاموا + الرقيق كل هذا خلط السكان جنسيا وراكم الكثافة .
وهكذا جعل الإسلام الجزيرة العريضة مثل مصر إقليم دخول واختلاط .

البترول جاء الآن ليضعف الصورة التى بدأها الإسلام إلى الذروة (بينما حوّل مصر إلى إقليم خروج لأول مرة فى تاريخها) .
المغرب العربى كان إقليم دخول أيام الاستعمار (المغامرون) بعد الاستقلال تحول الآن إلى إقليم خروج (المهاجرون إلى فرنسا وغيرها بأوربا) .

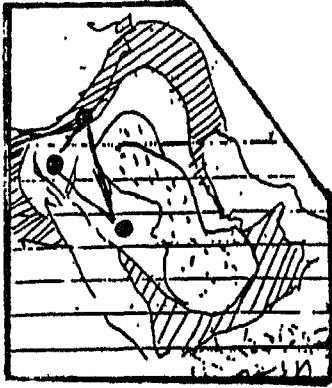
بالمقابل ، لو كان الإسلام نزل في
غرب الصحراء الكبرى مثلا لانتشر
ولكن في الغرب وربما في أوروبا دون
الشرق في العالم العربي .

البحر المتوسط مشتل الملاحه .

والنيل مشتل الفلاحة .

ولصحراء العرب مشتل الدين .

البيئة الطبيعية وأيكولوجية الصحراء
والانتخاب الطبيعي كلها تفسر نزول
الإسلام في الصحراء .



ولكن الانتخاب الاجتماعى والعرفه حرفة الرعى والبداوة تكمل التفسير.
كل الأنبياء رعاة .

موسى يمثل وحدة الجزيرة العربية
مصر الجغرافية والتاريخ . فهو نشأ في
مصر وعاش في مدين ثم عاد وذهب
مرات . كقوس حول البحر الأحمر .

إذا كانت اليمن لم تتجه إلى
ساحل الزنج (عكس عُمان) فإنها
اتجهت إلى الحبشة المواجهة عبر
الأحمر . وبذلك صار لها نهران عبر
البحار (كعمان) : أبعد جدا في
الملايو إلخ ، وأقرب جدا في الحبشة .



يحار المرء فى تجديد مدى عمق ووزن وقوة التوغل الإسلامى فى أوروبا فى العصور الوسطى .

ففى الغرب فى إسبانيا تقدم الغزو حتى قلب فرنسا ولكنه ارتد فوراً إلى قاعدته فى إسبانيا حيث عمّر ٨ قرون .

فى الشرق فى البلقان تقدم الغزو التركى حتى قلب أوروبا الدانوب والقزم وجنوب روسيا وأبواب فيينا ، ثم انحسر قليلاً قليلاً وخطوة خطوة على مدى ٤ قرون هى طول عمره فى البلقان كلها تقريباً فى الغرب عمر الإسلام ضعف ما عمّر فى الشرق ، ولكن زحفه وتوسعه الفعال كان نصف مثيله فى الشرق !

أى بالتنصيف مساحة والضعف عمران .

الغرب = $\frac{1}{2}$ المساحة × العمر .

الشرق = $\frac{1}{2}$ مساحة × العمر .

- مصر هبة النيل .

الخليج هبة البترول .

البترول الإسلامى :

أى البترول فى العالم الإسلامى ينقسم إلى نوعين ، لكل منهما إسلامه البترولى Petro - Islam .

البترول الشيعى : ودورة المؤمرات + الحروب العدوانية ، لتصدير الثورة الشيعية [ما يسمى فى إيران «الثورة الإسلامية» لا هو ثورة ولا هو إسلام بل بؤرة شيعية (صديدية) .

البترول السنى : ودورة الرجعية + المظهرية . تدعيم الحكم الرجعى الدينى والثيوقراطى بأسمنت البترول المسلح ، ومحاربة التطور الحقيقى .

البتول الشيعى : ثورة مضادة .

البتول السنى : مضاد للثورة .

الاثنان كلاهما = الثروة ، الثورة .

الاثنان كلاهما = الشيوقراطية فى الداخلى .

+ ادعاء الزعامة الإسلامية فى الخارج .

والاثنان كلاهما = باطل وخاطئ ومدمر ومخرَّب .

البتول الشيعى = تثار العالم الإسلامى الجدد .

البتول الشيعى = وندال العالم الإسلامى الجدد .



ليس دقيقا بالضبط أن مصر رأسها فى أوربا وجسمها فى أفريقيا .

الصحيح أن مصر رأسها فى أوربا ، وأقدامها فى أفريقيا ، وجسمها فى

العالم العربى .



اتخذ الإسلام شكل خريطته الراهنة تقريبا نهاية العصور الوسطى ، حين كان قد أصبح دينا آسيويا أفريقيا من المحيط إلى المحيط ، فى الوقت الذى كانت المسيحية ظاهرة أوربية بحتة ، قاصرة على أوربا ومحصورة (أو محاصرة) فيها أما المسيحية فقد تأخر توسعها خارج قارتها الأم طويلا ، بينما كان الإسلام أسبق جدا إلى التوسع ، بل هو ولد بحجمه وانتشاره الحالى تقريبا أو عمليا إذ تم معظم توسعه فى قرن أو يضع قرن أما المسيحية فقد تأخر توسعها حتى العصور الحديثة والكشوف والاستعمار وخروج أوربا من قوتها إلى العالم وعبر البحار حتى لفت معهم الأرض كلها وهكذا أصبح الإسلام محاصرا بالمسيحية من كل الجهات ، بعد أن كان العكس .



العالم الثالث تعبير فضفاض ومركب جدا وطبعاً أبعد ما يكون عن التجانس إلا في الحد الأدنى .

- المهم ، يمكن تقسيم العالم الثالث إلى الوحدات الآتية :
- العالم الإسلامي (العالم العربي + العالم الإيراني - الطوراني) .
 - العالم الموسمي (آسيا الموسمية + الفلين - اليابان) .
 - أفريقيا السوداء (جنوب الصحراء) .
 - أمريكا اللاتينية .

طبعاً هناك تداخلات ، ولكن محدودة وثانوية إندونيسيا في العالم الإسلامي ويلتقى فيها العالم الموسمي (أو الاستوائي) كذلك أطراف أفريقيا السوداء .



اضطهاد المسلمين ومذابحهم المعاصرة في ختام القرن ٢٠ وعلى أبواب القرن ٢١ الميلادي (لا قبل الميلاد) ظاهرة مؤسفة مخجلة طبعاً ومرفوضة تماماً: ولكنها للأسف طبيعية - فالتعصب الديني والصراع الطائفي جزء من صراع الشعوب والأمم والدول والقوى والمجتمعات والجماعات ، صراع البقاء المؤيد ولماذا ندهش له ونستغربه ؛ على بشاعته ورفضنا له ، ومثله أو عكسه موجود بيننا داخل العالم الإسلامي وقبله ألم يكن الكفار يضطهدون المسلمين في عصر النبي ؟

- «دار الإسلام» وقد تحولت - للأسف - إلى «دار حرب» .
- في العقود الأخيرة أصبح العالم الإسلامي ساحة لحروب عديدة لا تنقطع (١) إما داخله بين دول إسلامية .
- (٢) وإما حرب أهلية داخل الدولة الإسلامية الواحدة .
- (٣) وإما كحروب أقلييات تتعرض لها الأقليات الإسلامية على تخوم

العالم الإسلامي أو خارجه .

وهذه الحروب تؤلف نطاقا كاملا يطوق العالم الإسلامي ويكاد يلفه لفا من أقصى الشرق إلى أقصى الغرب ومن أقصى الشمال إلى أقصى الجنوب .

١ - الحروب بين الدول الإسلامية .

+ ليبيا × تشاد - العراق × إيران .

العراق × الكويت (+ السعودية والخليج ومصر وسوريا) .

الجزائر × المغرب (الصحراء الغربية) .

٢ - الحروب الأهلية الداخلية :

أفغانستان نيجيريا .

لبنان - قبرص .

الفلبين (المورو) .

سرى لانكا (التأميل المسلمين) .

الصومال .

٣ - حروب الأقليات الإسلامية :

بورما (أراكان) .

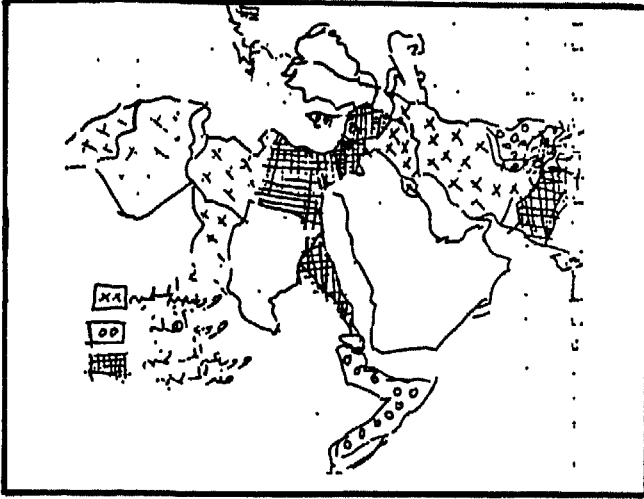
أريتريا .

٤ - حروب الدول غير الإسلامية ضد الإسلامية .

الهند × باكستان .

الصرب × البوسنة - الهرسك .

إسرائيل × فلسطين - مصر - الأردن - سوريا لبنان .



في النمط الجغرافي لتوزيع المسلمين :

هناك عدة أنماط لتوزيع المسلمين خارج العالم الإسلامي أو على هوامشه خاصة : (كما في جغرافية المسكن القروي).

النمط المبعثر أو المنثور أو المتخلل ، وهو ينتشر بهدوء وتدرج داخل تضاعيف الأغلبية غير المسلمة ، دون تجمع واضح صارم ، كما في الهند عبر الدكن .

النمط النووي المجمع ، وهو كتل صغيرة متبلورة أو براعم مكثفة ، كما في أراكان بشمال غرب بورما ، وربما أطراف الفولجا .

نمط السندويتش ، حيث يمتد الإسلام كشرائح رقيقة طويلة تفصلها عن بعضها شرائح مماثلة من غير المسلمين ، كما في الوديان بين سلاسل الجبال ، ربما في القوقاز .

الأغلبية العظمى من المسلمين هم من عراض الرؤوس، والأقلية طوال الرؤوس .

فالأغلبية آسيوية، إما مغول وإما ألبيون هندو- آريين . أما طوال الرؤوس فمعظمهم فى العالم العربى الذى هو قوقازى حامى سامى + زنوج ومرتزجو أفريقيا .

المهزلة غير الملاحظة هى أن الصراع الغربى - الشبوعى السوفيتى السابق كان يحمى العالم الإسلامى من عداء وحقد الغرب الرأسمالى المسيحى . والأن زال الحاجز، فأنكشف الحادث ا



التعصب غريزة طبيعية تماما، حتمية حتى ولو لم تكن صحية . لا حيلة لنا فيها . لماذا؟ لأنها جزء من أدوات الدفاع عن النفس فى الصراع من أجل البقاء . التعصب هو الانحياز للذات والنفس . ومن هنا فلا مفر منه كما لاضير، إنما يصبح التعصب رذيلة حين يعنى التعصب ضد الغير، ضد الآخر، بلا مبرر. إذنا لتمييز بين نوعين من التعصب الحميد والخبيث .

فإذا طبقنا فى مجال الدين، يصبح التعصب الدينى قرينة طبيعية وحتمية للتدين التعصب الدينى صنو التدين ونتج الدين ومن الكذب والخداع أن ننكر أن التعصب الدينى غريزة حتمية وكافية كالتدين وكل معالجة لمشكلة التعصب الدينى (وما يترتب عليها طبعاً من عنف وإرهاب وقتنة طائفية إلسخ) تنكر طبيعية وحتمية وواقعية التعصب الدينى هى خداع للنفس ومحتوم فشلها: الصواب بعد الاعتراف بالتعصب الدينى توجيهه فى الاتجاه الصواب، وهو عدم التعصب الخبيث، عدم التعصب «ضد»، لا «مع» .



مشكلة الأقليات الدينية داخل وخارج العالم الإسلامى (كما فى غيره) هى مشكلة مزدوجة أو فى اتجاهين فكما تتعرض الأقليات غير الإسلامية داخل العالم الإسلامى لضغوط معينة، تتعرض الأقليات الإسلامية خارج العالم الإسلامى لضغوط مماثلة. وليس لك أن تشكو من هذه وتنكر تلك - أو العكس. فأتت لا يمكن أن نضطهد أقلياتك فى الداخل ثم تشكو وتستنكر اضطهاد أقلياتك فى الخارج، لا يمكن الكيل هنا بميزانين أو بمكيالين وكما تدين تدان.

المفارقة المفجعة حقا أن الإسلام الذى يصلح لكل زمان ومكان، لم يعد له مكانا بالكاد فى هذا الزمان! فخارج العالم الإسلامى الإسلام والمسلمون مطاردون مضطهدون شرقا وغربا شمالا وجنوبا، فى آسيا البوذية وأوربا المسيحية، فى أفريقيا السوداء، من سائر الأديان السماوية كما من الأديان أو اللاأديان الأرضية.

غريب جدا: وفى آسيا، الديانات غير السماوية تضطهد الإسلام والمسلمين فى كل مكان الهند الهندوكية، بورما البوذية، الصين . . إلخ.

ولكن فى كل الحالات فإنهم لا يضطهدون بعضهم البعض وليس بينهم مشاكل طائفية فلا الهندوس يضطهدون، أو العكس، ولا الشنتو يضطهدون الهندوس أو . . إلخ!

لا يريد العرب والمسلمون أن يدركوا أن هناك ثنائية أبدية فى الصراع الأبدى الدينى فى هذا العالم إنها «ثنائية الثنائية»: صراع - دنى أبدى بين طرفين، كل منهما ذو طرفين:

الإسلام + العرب .

ضد المسيحية + اليهود .

لا يريد العرب والمسلمون أن يفهموا أن الغرب والأوربيين ينظرون إلى

اليهود كجزء منهم سواء جنسياً أو دينياً (+ حضارياً أيضاً). إلا أنه جزء صغير مشاغب كالابن الضال **Prodigal son** الذى سيعود فى النهاية إلى العائلة، مهما فعل فهو مغفور له، والعائلة معه إلى النهاية. جنسياً، اليهود أوروبيون (كذلك حضارياً) دينياً هم طائفة ناشز من المسيحية وخوارج أو متخلفون عن الديانة الأم أو الحق. . إلخ.

المهم أن اليهودية والمسيحية فى نظر الاثنى هي متصل دينى **religious continuum** حيث الإسلام انقطع بل تناقض مطلق.

بالمثل فإن العرب والمسلمين، العرب والإسلام فى نظر الغربيين والأوروبيين هم شكل واحد أو شجرة واحدة أو «متصل واحد». كان العالم الإسلامى كله مستعمرة واحدة عظمى وإن تعدد المستعمرون وذلك حتى الحرب الثانية.

حركة التحرر السياسى فى العالم الإسلامى تمت فى عدة موجات:

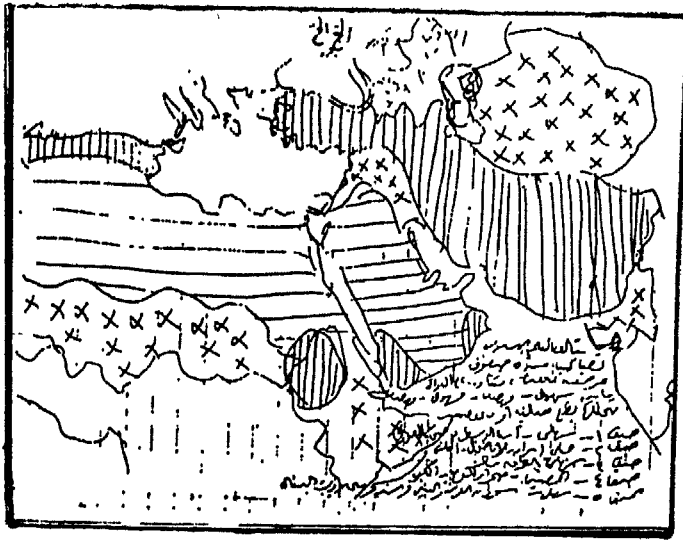
الأولى: بعد الحرب الثانية فى الأربعينيات شملت إندونيسيا وباكستان + سوريا ولبنان.

الثانية: فى الخمسينيات .
والستينيات - أفريقيا .

وأخيراً: فى التسعينيات جمهوريات اسيا الوسطى السوفيتية سابقاً + ألبانيا + البوسنة والهرسك .

وضع أريتريا كان غريباً، فهى المستعمرة داخلياً فى الدولة الوحيدة التى كانت مستقلة شكلياً فى أفريقيا .





الإسلام في نطاق أطراف العالم الإسلامي هو إسلام على الهامش على هامش الإسلام دينيا كما هو جغرافيا .
ومن الغريب أن تركيا تحولت من دولة إسلامية ، دولة الخلافة ، إلى دولة علمانية علنا .

بعكس إيران تحولت من دولة الشاة العلمانية إلى دولة الثورة الإسلامية والجمهورية الإسلامية إلخ .

هذان النموذجان يشكلان الآن خيارين متصارعين أمام جمهورية الكومنولث المستقلة الجديدة ففي كل منها عناصر شد وجذب فى كلا الاتجاهين ولكن النمط التركى سيتغلب (الإسلام فى كل دول الكومنولث هامشى سطحى رغم كل شيء والعودة إلى الإسلام ستكون شكلية غالبا).

الغريب أن أفغانستان تحولت فى عقدين من دولة دينية إسلامية إلى النقيض - دولة شيوعية ثم عادت إسلامية دينية جدا .

هذا ما حدث لدول الكومنولث ولكن على مدى زمنى أكبر منذ القرن الماضى أى فى قرنين تقريبا فدورة أفغانستان مضغوطة جدا جدا مثلما تأخر الابتلاع السوفيتى لها جدا جدا لكن الأعراض واحدة جيوبوليتيكية .
عرب الجاهلية كانوا بلا دين وبلا حضارة، وكانت دول الزراعة المحيطة به بلا دين ولكن بحضارة .

مع الإسلام أصبح عرب الجزيرة بدين ولكن بلا حضارة وبعد الفتوح الإسلامية قدم العرب دينهم للمستعربين والمسلمين وأخذوا منهم حضارتهم .

وبذلك كانت الحضارة العربية - الإسلامية هى نتاج دين العرب وحضارة المستعربين والمسلمين وهى عملية ضرب لا جمع ، لأنها تفاعل كيمائى لا مجرد تجاور ميكانيكى .

أما إذا عد الدين واللغة حضارة (الأدق أنهما ثقافة) . فإن العرب قدمت الحضارة اللامادية والآخرون قدموا الحضارة المادية أو أخيرا إن شئت قدم العرب الثقافة ، وقدم الآخرون الحضارة .

ثمة قدر متيقن من التداخل بين الإسلام والمسلمين طبيعى ، ولكن لا تترادف بينهما طبعاً تلك معادلة متناقضة وهذا هو مفتاح الموقف جميعاً .

فمن ناحية لا انفصال للإسلام عن المسلمين إذ لا إسلام بلا مسلمين (كما أنه لا اشتراكية بلا اشتراكيين) فالمسلمون هم التجسيد المادى المحسوس للإسلام . الإسلام هو الروح ، والمسلمون الجسد . الإسلام يتجسد فى جسم المسلمين ويحييه والمسلمون هم الجسم الذى يحتوى الروح ويحميها وهم التجسيم المادى المرئى الملموس للعقيدة والدين كفكرة وأيديولوجية .

[لا إسلام بلا مسلمين ، ولكن قد يكون هناك «مسلمون بلا إسلام»!] .

أما المرادفة بين الإسلام والمسلمين كما يفعل معظم المستشرقون والغرب ، فهذا فقط من قبيل المجاز ، والاختصار ، التجاوز واليسر ولكن يمكن أحياناً أن يكون إيجازاً مخلاً ومجازاً مغرضاً .

الظاهرة الحقيقية جداً والمحيرة للغاية هى الانقلاب الذى طرأ على وضع الإسلام ودرجة تقبله أو رفضه فى أفريقيا الجديدة بعد التحرر .

قديمًا كان التحول إلى الإسلام يتم بسهولة وسلام ويقبال شخصى شديداً من أصحابه الذين كانوا يرون فى الإسلام وسيلة للتحرر والحرية والكرامة .

بعد التحرر السياسى وخروج الاستعمار ، حدث العكس أصبح هناك عقدة نفسية ضد الإسلام ، ورفض له حاداً ومؤكداً ، باعتباره وسيلة لسلب الإنسان من حريته الشخصية .

لاشك أن أصابع الدول الاستعمارية والاستعمار خلق ذلك فى الحالين ، ولكن كعنصر ثانوى وعامل انتهازى ولكن الأصل والعيب ليس فى الإسلام نفسه .

نهاية التحول :

قديمًا وحتى قريب كان التحول من دين إلى آخر منتشرًا، وكان هذا أساس تحول الملايين في أفريقيا وغيرها إلى الإسلام .
الآن قفل باب التحول تقريبًا . لم تعد هناك تحولات بالجملة أو حتى بالقطاعي أو الأفراد .

مع ظهور الدولة القومية والوعي السياسى والذاتية والخصوصية + الحدود السياسية، والروح الوطنية أو الشوفينية لم يعد أحد يتحول بسهولة من دين لآخر. تمامًا كانت السيولة فى الحركة بين البلاد المختلفة بلا حواجز ولا حدود ولا جوازات سفر، كذلك كان الدين يجول ويصول .

«الوعي الدينى طارئٌ جديد فى الحضارة الحديثة، ربما حل محل التعصب الدينى الذى كان طابع العصور الوسطى»، انتهت الحروب الدينية والطائفية، لكن بدأت عملية التجميد الدينى أى البقاء على ما هو عليه Status quo فلا تحول .

الإسلام والمسيحية هما وحدهما الدينان السماويان الآن، أما اليهودية فقد أصبحت فى المنزلة بين المنزلتين، وسطا بين الأديان السماوية والأرضية، وتقع فى منتصف المسافة بين الإسلام والمسيحية فى جانب البوذية والهندوكية فى الجانب الآخر.

كثير من ولايات الهند عدد المسلمين بها يعادل أو يزيد عن عدد المسلمين فى دول عربية كثيرة .

المفروض أن «دار الإسلام» هى دار السلام .

يبدو أن «عودة الإسلام» أصبحت حقيقة واقعة فى أكثر من مكان فى إسبانيا اليوم عودة إسلام حقيقة ودالة جدًا تحت ناظرينا .

ثم فى جمهوريات آسيا الوسطى (السوفيتية سابقا) هناك عودة مؤكدة
بمعنى ومفهوم مختلف ، بعد طمر الشوعية للإسلام ٧٠ سنة .

فى الوقت نفسه يبدو أن ديناميات الإسلام تختل تماما فقديمًا كان
الإسلام يتقلص فى تراجع نحو الجنوب فى جبهته الأوربية وجنوب جبهته
الأفريقية ، الآن هناك عودة الإسلام فى أوربا خاصة فى طرفيها إسبانيا وآسيا
الوسطى + هجرة المسلمين إلى قلب أوربا .

من أسوأ المسيئين إلى الإسلام بعض من أشد المدافعين عنه من أبنائه
للأسف . والأصولية الإسلامية المزعومة هى بالدقة والضبط للأصولية
الإسلامية .

الإسلام السياسى دوره ووظيفته الوحيدة خارجى لا داخلى ، وهو تحرير
العالم الإسلامى فى الخارج لا الحكم الإسلامى فى الداخل .
واقع الحكم الإسلامى هو: مأساة طولها قارتان وعرضها قارة ونصف
قارة .

لغز توقف الإسلام عن التوسع بعد استقلال الدول الأفريقية وغيرها .

السبب هو: هذا من مخلفات أو الأثر المتأخرة **Belated effects**
للاستعمار الغادر .

فقد كان الاستعمار لا يحارب الإسلام علنا أو مباشرة ، ولكنه كان
يحاصره بطرق غير مباشرة .

فقد كان يعطى كل الفرص والإمكانات للوثنيين المتنصرين أو
المسيحيين من فئات المستعمرة . فكانوا متأوربين و «متحضرين» بالمعنى
الأوروبى وجاهزين للسلطة والحكم حين ذهب الاستعمار بينما كان
المسلمون فى كتاتيبهم ودراساتهم الدينية لا يصلحون لشيء فعلا .

وحين تسلم المتنصرون السلطة، اتخذ التناقض الدينى شكل صراع .
سافر أو مكتوم، فأصبحت الدولة الجديدة تحارب الإسلام وتناصر
المتنصرين فتوقف الإسلام وتحول من المد إلى الجزر .



وهناك تناظر بين جبهتى الإسلام الشمالية فى آسيا والجنوبية فى أفريقيا،
أى فى آسيا الوسطى والتركستان - الفولجا والسودان الغربى والنيلى .
فكلتاها جبهة زيادة أو نطاق زيادة fringe وصله الإسلام فى القرن ١٣
أو قبله أو بعده وشهد قيام امبراطوريات وممالك ودول إسلامية عريقة بالغة
الحضارة خصوصا وسط آسيا وكلتاها نهاية عالم الإسلام - هذا استبس وهذا
سفانا .

وكلاهما كان مستقلا تاريخيا حتى جاء الاستعمار الأوروبى والروسى
القيصرى فى القرن ١٩ وأخيرا تحرر فى أفريقيا فى الستينيات، وفى آسيا الآن
فى التسعينيات .
السواد الأعظم من العالم الإسلامى يتألف اثنولوجيا من ٥ عائلات بشرية
رئيسية :

- ١ - العرب أولا من المحيط إلى الخليج .
- ٢ - الترك ثانيا من البلقان إلى بيكال، وينشطر إلى وحدتين إقليميتين :
- آسيا الصغرى، وآسيا الوسطى .
- ٣ - الإيرانية أو الهندو إيرانية فى هضبة إيران الكبرى من زاجروس إلى نهر
السند (شاملة باكستان) .
- ٤ - الزنوج فى السودان الأفريقى (الغربى + الشرقى) .
- ٥ - الملاوية فى الهند الصينية وإندونيسيا .

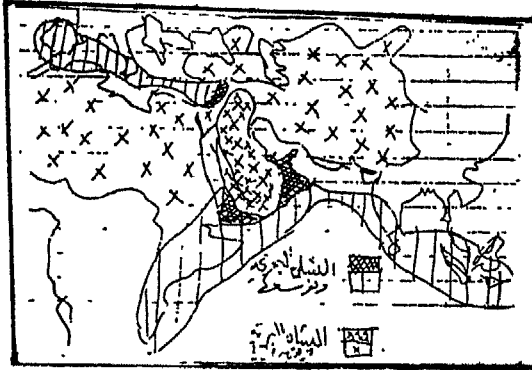


جغرافية الإسلام إذ تعنى جغرافية المسلمين ، فإنما تعنى أمة الإسلام لا «ديانة الإسلام» .

من أسباب ومسهلات شدة توسع وترامى العالم الإسلامى وانتشار الإسلام ، بيئة الجزيرة العربية الطبيعية فالجزيرة العربية تشمل بيئتين أساسيتين بيئة بحرية فى جنوب الجزيرة + الشام ، وبيئة برية قارية فى الداخل .

التوسع والانتشار الإسلامى الهائل قاريا وبريا وأرضيا كان وظيفة وعمل البيئة البرية الداخلية وشمل كل أفريقيا الشمالية + غرب آسيا حتى أبواب الهند والصين وسيبيريا .

التوسع البحرى بعيد المدى وغير المتصل كان وظيفة وعمل البيئة البحرية الطاردة (فى كلتا البيئتين البرية والبحرية طاردة) وشمل جنوب شرق آسيا والهند الشرقية + شرق أفريقيا الساحلى .



البيئة البحرية وتوسعها .

البيئة البرية وتوسعها .

آسيا العربية أو بلاد العرب الآسيوية ليست آسيوية أكثر مما تعد أفريقيا العربية أفريقية .

كلاهما فى قارته وليست منها . كلاهما أقرب إلى بعضها البعض جدا منهما إلى قارته .

لذا يحسن أن نعتبر العالم العربى عالما مستقلا عن كل من أفريقيا وآسيا ، لا هو أفريقى ، ولا هو آسيوى (أكثر مما هو أوروبى مثلا) .

آسيا تبدأ عند زاجروس» .

أفريقيا تبدأ عن «السفانا» .

لذا يحسن أن نقسم العالم الإسلامى إلى :

١- الإسلام العربى ، وتشمل العالم العربى .

٢- الإسلام الآسيوى : ويشمل بقية آسيا المسلمة .

٣- الإسلام الأفريقى : ويشمل بقية أفريقيا المسلمة .



اختيرت الجزيرة العربية مهذا للإسلام ليس فقط لأن العرب موصل جيد للرسالة بحكم البيئة والشخصية القومية ، ولكن تحديدا أعظم موصل جيد ، أجد موصل !



إن الاستراتيجية العظمى لأعداء الإسلام هى استدراجه وتوريظه فى صدام وصراع دموى ، مسلح إن أمكن ، مع المسيحية . هذه هى استراتيجية الصهيونية واليهود .

الاستراتيجية الإسلامية المضادة ينبغى أن تعكس هذا الصراع : أن تدق

إسفينا ما بين المسيحية واليهودية وتعمل على الفصل بينهما ما أمكن وفي نفس الوقت وبنفس الدرجة التقارب بين الإسلام والمسيحية ﴿لتجدن أشد الناس عداوة﴾ الآية .

لا أحد في أوربا يريد دولة إسلامية بالقارة كلهم يعلنونها بلا مواربة .
لا مكان للإسلام تحت البرد (وإن أمكن تحت الشمس) . المطلوب نفى الإسلام المعتدل (أى المناخ المعتدل) إلى المدار . . .



الإسلام يمتد من المحيط إلى المحيط (الأطلسي - الهادى) ، ومن البحر إلى البحر (المتوسط إلى بحر العرب) .
منطقة المشرق العربى هى خاصرة العالم الإسلامى حيث تدور من البحر المتوسط إلى بحر العرب .



بالعالم اليوم ٢٠ مليون لاجئ ، ٨٠٪ منهم مسلمون .
إندونيسيا هى الإسلام الوحيد الذى يخترقه خط الاستواء فالإسلام لا يصل فى أى قارة أخرى جنوبا إلى خط الاستواء سواء ذلك فى أفريقيا أو أمريكا الجنوبية . فى أفريقيا هو يقطع منطقة الساحل الشرقى لعمق محدود للغاية .



سينكيانج والتبت كلتاها فى الصين كلتاها آسيا الوسطى فى الاتحاد السوفيتى السابق ، ليست صينية ولكن استعمار صينى وكما انفصلت آسيا الوسطى فى دول مستقلة ، يجب أن تنفصل سينكيانج والتبت عن الصين كدول مستقلة (داخلية) أيضا إذ لا معنى حقيقة لهذا الابتلاع .
وسينكيانج مسلمون أتراك كأتراك جمهورية آسيا الوسطى الجديدة جنسا ولغة .

من المؤكد أن تعدد الأديان في الدنيا جاء عامل صراع ونزاع وعداوات وحروب وقرون لا نهاية لها تماما كتعدد الأجناس والألوان .

تاريخ البشرية الدموي بدأ صراع أجناس وانتهى صراع أديان . بدأ صراعا عنصريا وانتهى صراعا طائفيا ، بدأ عنصرية وانتهى طائفية فما الحكمة في ذلك؟

الحكمة بكل بساطة هي أن تعدد الأجناس والأديان بين الجماعات والأقوام (الشعوب والدول) كتعدد الطبقات داخل المجتمع الواحد هي أداة أساسية من أدوات الصراع البشرى في الحياة الدنيا وهو الصراع الذى لولاه لفسدت الأرض ، هو موتور الحياة ومحاربه التقدم .



يقولون الإسلام وحضارة الغرب نقيضان لا يمكن أن يجتمعا ليكن ، يبقى أن الاثنين قد جاء كل منهما لبقى ، ولا بد من تعايشهما إلى الأبد على الكرة الأرضية . ولا يمكن نفي أحدهما من الكرة الأرضية التعايش محتم عليهما مقدور ومقرر أما الصراع فعبث لأنه لن ينتهى ولن ينهى وجود أى منهما .



كان الغرب يتحدث عن الخطر الأحمر أى الشيوعية ، فابتكر الآن تعبير «الخطر الأخضر» إشارة إلى خطر الإسلام ! .

بعد سقوط الاتحاد السوفيتى وزواله وبدء البحث عن عدو جديد قيل إنه الإسلام ، نؤكد أن الإسلام خارج المعركة والحلبة هو فقط كبش فداء مؤقت أما العدو الحقيقى الفعال فسيظهر من بين صفوف المعسكر المتتصر ، بالغرب ، وسيكون الصراع الرهيب بين أمريكا وأوروبا الغربية أو اليابان أو . . . ولعلمهم هناك يخذعون أنفسهم ثمن حتمية ومأساوية هذا الصراع القادم بالحديث الشفهى عن الإسلام كعدو .

الإسلام حوّل قبائل الجزيرة العربية من «أعراب» إلى «عرب» .
كبدو رعاة رحل ، لم يكن للعرب «حضارة» .
كما كان الإسلام أسرع الأديان انتشارًا جغرافيًا ، كان أسرعها إلى التوقف
عن الانتشار تاريخيًا ففي غضون قرن واحد تقريبًا ، حقق الإسلام الحد
الأقصى من انتشاره رقعته الجغرافية ولكنه توقف بعد ذلك ، وهو الآن في
حالة تراوح بين الثبات والحركة والتمدد والتقلص .



لا قيام لعالم إسلامي كقوة أو كوحدة أو ككيان محترم في العالم ، ما
بقيت إسرائيل في قلبه وعلى قلبه .



الواقع أن أصبح هناك مدرستان في علاقة الإسلام بالحضارة (= الحياة) ،
ولا تقول أصبح هناك ديانتان أو إسلامان !
الأولى : الإسلام هو الحضارة والحضارة هي الإسلام = الإسلام دين
الحضارة ، دين حضارى دين متحضر .
الثانية : الإسلام ضد الحضارة ، والحضارة نفى للإسلام وضد الإسلام ،
والإسلام دين غير حضارى ولكن دين أخروى ، والإسلام ليس دين الحضارة
لأنه ليس دين الدنيا بل دين الآخرة .



تركيا الآن وبلا موارد تعمل على فرض زعامتها على الشرق الأوسط
وانتزاعها الزعامة الإقليمية وإيران تنافسها في ذلك طبعًا .
كيف حدث هذا ؟

هذا محاولة لملء «الفراغ» السياسى فراغ القوة الذى حدث بخروج مصر

تماما من معادلة القوة الإقليمية ومن زعامة العرب (ولا نقول من العروبة تقريبا) .

لقد فقدت مصر زعامتها ومكانتها مرتين : قوما (العرب) وإقليميا (الشرق الأوسط) .



مطلوب إعادة رسم الخريطة السياسية للعالم الإسلامى وهذا هو القطب الثانى من قطبى الإسلام السياسى (بالمعنى الحميد) . فلا وظيفة للإسلام السياسى الفعال (الحميد) إلا اثنتين : تحرير فلسطين .

وحدة العالم الإسلامى السياسية .

أى الدولة الإسلامية الواحدة . ولكن بأى معنى ؟ هذا ما سنوضحه فى الكراسة التالية (١) .

العالم الإسلامى فى العصور الوسطى كان هو العالم الأول .

وكانت أوروبا المسيحية هى العالم الثانى وآسيا جنوب شرقها هى العالم الثالث .

عرب الإسلام دخلوا البلاد المفتوحة فكانت معادلة التفاعل كالتى :
«ثقافة» العرب × ومقابل «حضارة» المفتوحين .

ومن تفاعل العنصرين جاءت الحضارة العربية الإسلامية المعروفة والرائعة .



من الآن فصاعدا ، يجب أن نفرق بين نوعين ومفهومين من العلمانية ،

(١) سيشكل ما جاء فى هذه الكراسة جزءا من المذكرات التى سننشر فى وقت لاحق .
(الناشر) .

منعاً لخلط الأوراق عمداً أو جهلاً ، فكما نفرق في الاقطاع بين «الإقطاع الغربى» والإقطاع الشرقى (حيث إن الكلمة لاصقة بالتراث العربى نفسه ولا مفر من استعمالها) ، نفرق بين «العلمانية الغربية» والعلمانية الشرقية ، أو إن شئت العلمانية المسيحية والعلمانية الإسلامية ، وكلتاهما لا تلغى الدين ولكن تفصله فقط عن الدولة ، أما الفارق فهو أن ليس فى المسيحية أحكام تشريعية تترك أو يؤخذ بها ، بعكس الإسلام .



قل تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم ! هذا شعار المسلمين للمسيحيين الآن كما ينبغى . أساس التعايش السلمى بين الديانتين هو الاعتراف المتبادل ، الاحترام المتبادل ، الإخاء المتبادل الرخاء المتبادل . ديانتان وعالم واحد ؛ ثقافتان وحضارة واحدة . نحن معا ، ووجدنا فقط الذين صنعنا الحضارة القديمة والحديثة ، وشكلنا تاريخ العالم ومن عائلة جنسية واحدة هى القوقازية ، وتصدينا للإلحاد الشيوعى حتى سقط . . إلخ .



إذا كانت المسيحية تعتبر اليهودية أصلها ولكنها متخلفة عنها ، وتعتقد على أية حال أنهما مرتبطتان جوهريا أى أنهما «متصل دينى» فقد آن الأوان للغرب المسيحى أن يدرك خطأ هذه النظرة أو النظرية وأن يفك هذا المتصل ، ويحل محله متصلا دينياً جديداً وحقيقياً وهو «متصل المسيحية - الإسلام» .

لا بد من عقد صلح تاريخى بين الديانتين الحقيقتين الوحدتين فى العالم - أما اليهودية فخرافة وأكذوبة وهذه هى القبطية الثنائية الجديدة فى العالم الجديد ، عالم السلام الإسلامى - المسيحى .

وبالمثل يبدو الإنجيل والتوراة أشبه بجزئين من كتاب واحد أكثر منهما

كتابين مستقلين .

ليست المسيحية واليهودية ديانتان منفصلتين مختلفتين ، بل هما «نصفاً ديانة واحدة» فالاختلاف بينهما ثانوى (تكتيكي) والتشابه قوى (استراتيجى) فلا يصل إلى حد التناقض قط ، أما التناقض الحقيقى فيبينهما معا وبين الإسلام إنه تناقض ضرورى واستراتيجى .

معادلة الصراع الدينى فى العالم اليوم هى :

$$\frac{1 + 2}{3} ، \text{ أى اليهودية + المسيحية ضد الإسلام .}$$

من جديد .

هنا عكس موقف أمريكا وإنجلترا منذ سنوات فى حرب الفوكلند سبب الفرق أن فى المعادلة خصم مشترك هو: الإسلام .

قد لا توجد ، بل قطعاً لا توجد ، أقلية دينية فى العالم كالأقباط فى مصر ، فليس فى العالم أقلية دينية عاشت فى أعماق أحضان الإسلام ، وعاشت حتى النخاع ، فى حنايا وظلال مجتمع إسلامى وحضارة إسلامية بالكامل وطوال تاريخه كالأقباط ، أقلية مشبعة تماماً بالجو والبيئة .

ليكن أقباطنا هم همزة الوصل وأداة الربط ورابطة الصداقة بين المسيحية والإسلام كما بين مصر والغرب . وليكن هذا أيضاً دور المسيحية العربية على وجه العموم . فالأقلية المسيحية فى العالم العربى خاصة ، والعالم الإسلامى عامة ، هى جسور طبيعية ممهدة وممددة بين الإسلام والمسيحية ، والغرب . لنوظف أقلياتنا لتحسين أغليبتنا .



الجغرافيا علم «الآين» .

على المسلم الذي يكتب عن العالم الإسلامي أن يضع نفسه في مكان غير المسلم، خاصة الأوربي المسيحي، ليس فقط ليكون موضوعيًا، ولكن أيضا ليستوعب وجهة نظر الآخرين «الأخر».



أسوأ دعاية وأكبر إساءة للإسلام هي الإسلام السياسي بالمعنى الأصولي.

الإسلام السياسي إذن نوعان، كما يمكن تصنيفه :

١ - الإسلام الحميد = تحرير فلسطين أساسا + تنمية وتطوير العالم الإسلامي.

٢ - الإسلام السياسي الخبيث = الشيوعية والدولة الدينية .



هناك الآن «تكالب» على دول آسيا الوسطى الجديدة . متعدد الحوافز والأغراض والنوايا .

دول آسيا الوسطى الخمسة الجديدة بالنسبة لتركيا هي بمثابة أوروبا بالنسبة لأمريكا أي أنها الأم التي هاجرت منها وهجرتها الابنة الأبقية تحت إغراءات الحداثة والعالم الجديد . إلخ والآن عادت لتتذكر الجذور والأصول وتتقرب . . إلخ

أما إيران فتقاربها وتوددها هو من الدرجة الثانية، وفيه شيء من الفضول والردالة : العلاقة بين دول آسيا الوسطى الجديدة وكل من تركيا وإيران مختلفة عن الأخرى .

فهى مع تركيا كالعلاقة بين الدول العربية وبعضها البعض أى علاقة قومية، ولكنها مع إيران كعلاقة العرب بها (أى إيران) (أو تركيا فى هذا

الصدد) - علاقة إسلامية فقط .

الأولى علاقة وحدة قومية (+ دينية طبعاً) .

الثانية علاقة وحدة دينية فقط .



كان الغرب يحاول أن يستدرج العالم الإسلامي ليكون معه جبهة ضد الشيوعية ، على أساس أنها العدو المشترك للثنتين .

بعد سقوط الشيوعية وزوال الاتحاد السوفيتي ، أصبح العالم الإسلامي هو المرشح الجديد كعدو الغرب الجديد . وإلى هنا لا جديد . الجديد هو أن الغرب سوف يستدرج خلفاء الاتحاد والشيوعية إلى صفه ليكون جبهة مشتركة ضد العالم الإسلامي والإسلام ، باعتبارهما العدو المشترك للثنتين . بل لن يجد الغرب مشقة في هذا ، ولن يحتاج الأمر إلى استدراج : سيأتي الشرق الشيوعي القديم ليلقى بنفسه في معسكر الغرب الموحد ضد الإسلام والعالم الإسلامي .



في العصور الوسطى ، العصور الإسلامية كان العالم المعروف المغمور ينقسم كما اليوم إلى ٣ عوالم :

العالم الأول : هو العالم الإسلامي .

العالم الثاني : هو أوروبا المسيحية .

العالم الثالث : هو الشرق الأقصى الموسمي الوثني .

[كانت أفريقيا السوداء مجرد إشاعة تقريبا ودخان أسود ، وعملياً خارج المعمورة كالأمريكتين وأستراليا] .

الإسلام اليوم فى فرنسا هو الديانة الثانية بعد الكاثوليكية (وقبل البروتستانتية واليهودية).

عددهم ٦,٥ مليون = ١١٪ من سكان فرنسا.

تكوينهم : ٢,٥ مليون فرنسى .

٤ مهاجرين عرب ومسلمين .

المسلمون الفرنسيون جنسية تكوينهم الأصلى كالاتى :

٧٠٠ ألف جزائرى اختاروا الجنسية الفرنسية .

واستقروا بفرنسا بعد استقلال الجزائر ١٩٦٢ .

٣٠٠ ألف فرنسى حقيقى .





مذكرات في
الجغرافيا السياسية

الفصل الخامس
العالم
الغربي..

٥

الفصل الخامس

٥

العالم الغربي

العالم الغربي

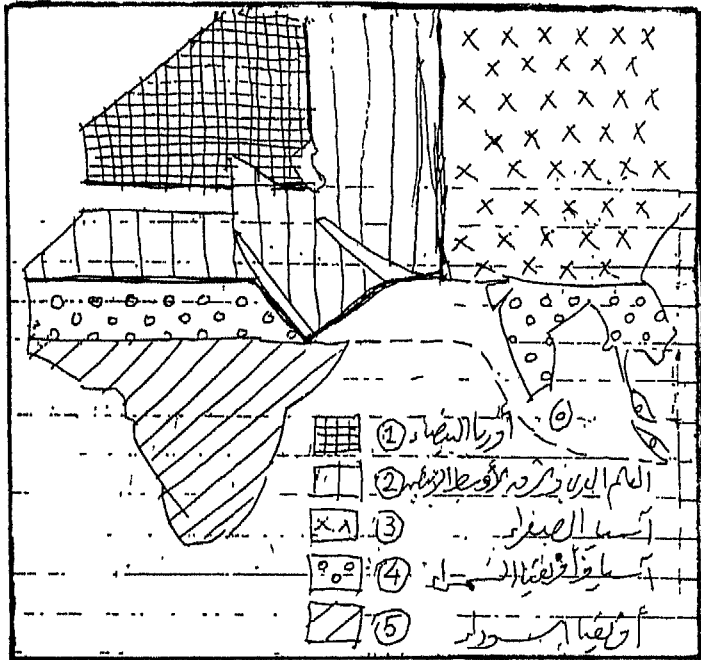
١- أوروبا

- ومرت صراعات بشرية من أجل القوة والسيطرة العالمية في ٦ مراحل:
- ١ - فإلى ما قبل الإسكندر الأكبر كانت السيادة للشرق البعيد والقريب، أى آسيا عامة، على الغرب وأوروبا (عصر آسيا).
 - ٢ - منذ الإسكندر تغلبت اليونان على فارس وأوروبا على آسيا ثم أتت روما وامبراطوريتها لتؤكد هذا التوازن الجديد. واستمر هذا حتى ظهور العرب.
 - ٣ - مع العرب والإسلام تغلبت عرب آسيا والشرق الأوسط على أوروبا وآسيا وحققست السيادة العالمية وانتزعتها من الجميع. وظل تفوق العرب والشرق على أوروبا والغرب حتى نهاية الصليبيات حيث تحدد نقطة الندية

فالصليبيات كانت تحدى الغرب وأوروبا للعرب والشرق، وكان هجومهم بينما العرب على الدفاع دليل قوة، ولكن صمود العرب حتى انتصارهم كان دليل التفوق والنتيجة الصافية تعادل قوة وندية عصر العرب .

٤ - منذ نهاية الصليبيات بدأ ميزان القوة يميل لصالح أوروبا والغرب على الشرق القريب والبعيد حتى كان طرد العرب من إسبانيا + طرد الروس لرعاة المغول والتتار وسيطرتهم التقليدية السابقة وانتقال القوة كاملة ونهائيا إلى الغرب وأوروبا .

٥ - منذ طرد العرب + الكشوف الجغرافية + الاستعمار بدأت سيطرة أوروبا والغرب على الشرق وآسيا والعالم كله (عصر أوروبا) .

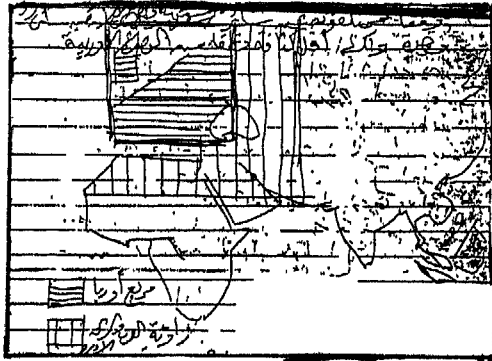


كانت أوروبا البيضاء في صراع دموي ألفى طوال تاريخها مع بعضها البعض أعدى الأعداء الآن يتقاربون ويتحابون ويتطلعون إلى دولة واحدة الولايات المتحدة بعد إن لم يكونوا يرون إلا الاختلافات والخلافات بينهم، لم يعودوا يرون إلا التشابهات والروابط بينهم! ما من محبة إلا بعد عداوة! حسنا، كانت أوروبا البيضاء المسيحية طوال العصور الوسطى المظلمة في حرب ظالمة وعداء غير منطقي مع العالم العربي والشرق الأوسط - المسلمين ولا يزال الثأر والتعصب والحقد والكراهية بدرجات متفاوتة .

- ما من محبة إلا بعد عداوة !

هذا ما يحدث الآن في أوروبا بعد حروب ألفية (وبالآلاف) بدأوا يتقاربون ويدركون وحدة أصلهم وكيانهم .

يوما ما سوف تتسع الدائرة ليكتشف الأوروبيون أن أقرب الشعوب غير الأوروبية إلى الأوروبيين هم العالم العربي والشرق الأوسط، وإنهم جميعا قوقازيون، بيض، متحضرون، مختلفون عن سائر شعوب الأرض أى وحدة ولكنها أقل كثافة وعمقا من الوحدة الأوروبية .



المربع + الزاوية يؤلفان معا مربعا أكبر هو مربع القوقازية : وهذه هي
الوحدة الأساسية فى شمال غرب العالم القديم ، وكل ما خارجه مختلف
بشريا وجنسيا وحضاريا وثقافيا عن الاثنين .

الضلع الرأسى من الزاوية = أوراسيا .

الضلع الأفقى من الزاوية = أورافريقيا .



لن يعتبرنا الأوربيون والغرب يوما ما منهم أو مثلهم على الإطلاق . وهذا
سليم ، وغيره خطأ . ولكن التقارب بيننا يتم بالتدرج الوئيد ، والأن بتسارع :
الفروق موجودة وستبقى . لكن المشابهات ستظهر أكثر وأكثر الآن الفروق
التي بيننا وتفرق بيننا تبدو أكبر من المشابهات التي تجمعنا وتجمع بيننا فى
المستقبل القريب ، سيدرك الطرفان والجميع أن الفروق التي تفصل بيننا أقل
من المشابهات التي تجمع بيننا .

ليس هذا فحسب : سيدرك الجانبان أن الفروق التي تفصل بيننا وبينهم
فى ناحية وبين بقية العالم فى ناحية أخرى ، أقوى من المشابهات التي
تجمعنا وإياهم مع سائر العالم .

سيدرك الجميع ، أن أوروبا والغرب أقرب إلينا نحن المصريين والعرب
منهم إلى بقية العالم ، والعكس صحيح : نحن المصريين والعرب أقرب إلى
الأوربية والغرب منا إلى أى أحد آخر فى العالم وسائر العالم .

كما أن العرب ليسوا شيئا واحدا ، فإن الغرب غربان ، وأوروبا أوروبات .

يقول الأوربيون ليس العرب شيئا واحداً ، شيء أعداء . . إلخ .

حسنا الغرب أيضا ليس شيئا واحد ، بل غربان الغرب الأدنى أو الغرب
الأوربى أى أوروبا والغرب الأقصى أو الغرب الأمريكى أى أمريكا .

أما أوروبا نفسها فأوربات عدة أو عدة أوروبات : أوروبا الغربية، أوروبا الجنوبية، أوروبا الشرقية أوروبا الوسطى شمال أوروبا (سكانيا).
الغرب الأوربي هو بمثابة المشرق العربي، والأفريقي المغرب العربي.



كما أنه ما من محبة إلا بعد عداوة، فكذلك ما من مساواة إلا بعد صراع.
كل جماعة تفضل نفسها على الآخرين، وتعتبر نفسها الأرقى والأسمى وترفض أن تعترف بالآخرين أُنْداداً متساوين معها ومساوين لها إلى أن يفرض الآخرون أنفسهم عليهم بالقوة والحرب والصراع، حتى يتقاربوا ويتصالحوا صلح الشجعان وهذه قصة أوروبا بشعوبها المختلفة داخلها وما كارثة الاتحاد السوفييتي وشرق أوروبا مؤخراً إلا آخر وأحدث تجسيد لهذه الحقيقة ولهذا القانون.

الآن الدور والدورة على العرب المسلمين والإسلام عامة. فعلا أوروبا والغرب تبحث الآن عن عدو (وليس هذا توهما أو شذوذاً — هو طبيعي جدا في التاريخ والحياة).

نفس القضية مع أوروبا + العرب، لا العرب، ولا أوروبا، تتنافس مع الأخرى على صدارة العالم سواء في الماضي أو الحاضر. كلاهما يعلم ويعلن أن الأولوية لأوروبا والغرب الآن وإلى الأبد لكن العرب تشعر أنها الرجل الثاني في العالم، وتريد اعتراف أوروبا بها على هذا الأساس ولكن أوروبا ترفض تكبراً ومكابرة ولكن سيأتي اليوم الذي تدرك فيه أوروبا صحة وشرعية الادعاء العربي وستقربهم إليها على هذا الأساس.

مهما تضاءل العالم وانكمش وتقارب وتجانس حضارياً وثقافياً وطريقة حياة، مهما أصبح العالم كله أمريكا عظمى أو قرية أو بيثة (قرية أمريكانا)

ستظل الشخصيات الإقليمية والطوائع القومية والهويات والكيانات الوطنية قائمة صلبة متفردة بكل خصوصياتها وذاتيتها . . إلخ .

لماذا؟! لأنه حتى لو تجانست كل هذه القشرة الحضارية الحياتية تماماً، فستظل النواة الدفينة الكائنة تحت الجلد وحتى العظم، وهى الجنس، ستظل الناس والشعوب أجناساً مختلفة وألواناً متضادة إلخ مهما زادت شفافة الغلاف الحضارى، بل كلما زادت كلما تأكدت وبرزت إلى السطح النواة الجنسية الأنثروبولوجية الاثنية .

فقط حين يصبح الجنس البشرى كله جنساً واحداً متجانساً موحداً فى صفاته الجسمية، يمكن أن يختلف الأثر والموقف .

لهذا بالدقة، فرغم أن الشرق تمثل وتلبس كل حضارة الغرب الآن، فإنه لازال الشرق . . لازال شرقياً فى حضارة غربية ولأزال الشرق شرقاً والغرب غرباً رغم أنهما التقيا .



فعلاً إن أوروبا اليوم تتأمرك ولكن ليس بالمعنى الحضارى والمادى والمعنوى والثقافى الشائع بما فى ذلك السطحيات التافهة كالهامبورجر والجينز . . . إلخ، وإنما بمعنى سياسى جولوليتكى خطير وحقيقى . إن أوروبا تتحول إلى الولايات المتحدة الأوربية كمنظير وعلى غرار الولايات المتحدة الأمريكية إلى دولة قارة وقارة دولة .

إنها ليست نهاية التاريخ، ولكن نهاية الجغرافيا . !



بالروح الصليبية المتعصبة الأوربية المعهودة هناك حمى مسعورة وسعار وحدوى وحقيقى يجتاح أوروبا والأوربيين الذين يريدون فجأة أن يقتلعوا أنفسهم من تاريخهم العدائى المأساوى الرهيب، تماماً كذلك الشعور

والحمى التى اجتاحت الأمريكان المؤسسين لاقتلاع أنفسهم من أوروبا وجذورهم بها ، ثم لتجاهل اختلافاتهم الجنسية واللغوية والدينية إلخ ، إلى أن كان الاستقلال والدولة الجديدة .

وتامما تماما ، وإن بالمقلوب ، فكما كان الأمريكان الأوائل يسعون إلى الدولة الجديدة لكى يستقلوا عن الطغيان والظلم والتبعية والسيادة البريطانية الغاشمة ، فإن الأوربيين اليوم يسعون إلى الوحدة الأوروبية لكى يستقلوا عن وصمة الوصاية والحماية والتبعية والتخلف والخضوع لأمريكا (الولايات المتحدة) وغطرسها المكشوفة والوقحة .



أوروبا هى القارة الوحيدة تقريبا التى تمتاز بالتجانس الطبيعى جغرافيا . فكلها مناخ واحد بارد تقريبا .

بينما سائر القارات كل واحدة منها قمة فى التنافس الطبيعى آسيا أعلى الجبال والمرتفعات وأوطىء الأراضى ، أغزر الأمطار والصحارى اكتف الغابات والأراضى الجرداء أفريقيا نفس الشئ ، أمريكا الجنوبية وكذلك الشمالية حتى استراليا .

إلا أوروبا! السبب ضآلة المساحة نسبيًا + الموقع الفلكى الواحد تقريبا .



الصراع بين أمريكا وأوروبا الآن على القوة فى العالم مداره ومحوره الخفى الآن هو: روسيا فبعد سقوط الاتحاد السوفيتى المشين ، (والذى هو ليس بنصر حقيقى لأمريكا ، وإنما غلطة تاريخية سفيهة) وزوال التهديد السوفيتى

لأوروبا الغربية ووضوح هدف أمريكا في كبت أوروبا عن الارتفاع إلى القوة العالمية، أصبح الصراع الأوربي الأمريكي واضحاً ومؤكداً أوروبا تريد الإفلات من قبضة أمريكا والتبعية الأمريكية وأمريكا تريد كبح وكت أوروبا وإبقائها تحت سيطرتها .

في هذا الصراع الجديد أصبحت ورقة روسيا هي الهدف وضمان الرابع : أوروبا تريد أن تجتذب إليها روسيا كمتمم البيت الأوربي طبعاً . وأمريكا تريد روسيا كحليف خاص لها خارج المفهوم والإطار الأوربي مثلما كانت العدد الخاص سابقاً الصراع هو: من منهما سيرث روسيا في جيبه الخاص؟ .

أوروبا وأمريكا تلعبان مع لعبة تواطئ خبيث خبيث ضد البوسنة والهرسك . فكل منهما تترك مهمة التدخل للأخرى ، أمريكا تتركها لأوروبا باعتبارها مشكلة أوربية وأوروبا تتلصقاً بزعم عدم اتفاق أعضائها ولترك الفرصة لأمريكا باعتبارها القيادة العليا ! .

ولكن الاثنان يتباريان في التسوية والتلكؤ عمداً بأمل أن يفرض الأمر الواقع نفسه وهو انتصار الصرب ، حتى لا تقوم دولة السلاطين في قلب أوروبا .



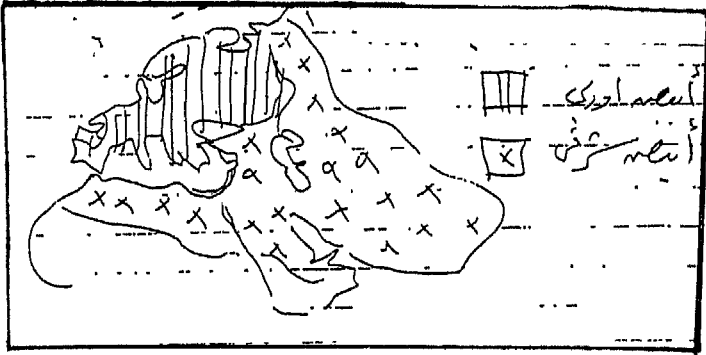
واضح أن أوروبا والغرب في بحث دائم عن عدو ما . وتاريخ أوروبا الحديث هو سلسلة متعاقبة من العداوات الموجهة .

في القرن الماضي anti semitism .

بعد ذلك anti Communism .

الآن anti Islamism .

كما نميز في الأصوات بين التينود الغربي والشرقي بمعنى أن الأول هو الأوبرا المعروفة ، والثاني هو التينود الطبيعي غير المستعار، كذلك ينبغي أن نميز في ألوان البشرة والأجناس بين «الأبيض الأوربي» «والأبيض الشرقي» وهو الأبيض القوقازي غير الأوربي ، أو الأبيض القاتم أو الكاوي . وهذا يشمل نطاقا دائريا كاملا حول نواة أوروبا البيضاء .



الروسيا وتركيا السلاف والأتراك ، هما حلقتا الوصل بين الجنس الأبيض والأصفر. فالسلاف الروسي بيض ولكن منهم فى أقصى الشرق بعض ملامح مغولية خفيفة بالتدرج .

والأتراك فى أقصى الغرب (الأناضول) مغولا أصلا ولكنهم بيض وفيهم ملامح أوربية فوقازية قوية جدا والحلقتان معا هما نواة أوراسيا بالمعنى الأنثروبولوجى الجديد .

العالم الغربي

٢- أمريكا

الولايات المتحدة (وهي كما قلنا مرارا بريطانيا القرن ٢٠) تقع اليوم على وتمر بنفس المرحلة التي كانت عليها بريطانيا منذ أواخر القرن ١٩ (حوالي ١٨٧٠ / ١٨٨٠ وما بعدها حتى الحرب الأولى) حيث كانت تتربع على قمة القوة وقوة العالم بلا منازع وتبدو مؤبدة هناك ، بينما كانت تتراجع وتتصدع من الداخل وتنحدر بالتدريج غير المنظور، إلى أن جاءت ضربة الحرب الأولى فكشفت البطن وضربت نصف قوتها ثم انتهى النصف الباقي في الحرب الثانية ، وتم السقوط .

الآن تصارع الولايات المتحدة للبقاء على القمة ولكن الانحدار تحت أقدامها سار وصارم والانكشاف العام تم الانزلاق النهائي قريب جدا في

انتظار أى ضربة من المنافسين الجدد (أوروبا ألمانيا، اليابان).

ومنذ الحرب العالمية الثانية ومنتصف القرن ٢٠ انتقل مركز القوة نهائيا من أوروبا إلى أمريكا (الولايات المتحدة) لتصل فى النهاية وحاليا إلى السيطرة والهيمنة على العالم كله بما فى ذلك أوروبا والغرب، أى انتقل كل شىء من العالم القديم إلى العالم الجديد، ومن أوروبا إلى أمريكا، خاصة بعد زوال الاتحاد السوفيتى وسقوط الشيوعية وحرب الخليج الثانية (عصر الولايات المتحدة).

وأمریکا تختلف عن أوروبا الرأسمالية فى أنها قمة الرأسمالية والرأسمالية العليا العاتية «السوبر رأسمالية».

المهم أنها تختلف عن أوروبا فى أنها وإن كانت قمة الطبقة المطلقة العاتية إلا أنها أيضا قمة الحراك الاجتماعى والسبولة الطبقة المطلقة، الفارق بين المليونيرات والصعالبك رهيب لا مثل له فى العالم الرأسمالى ومع ذلك ممكن لكل صعلوك أن يحاكي وبالفعل يصبح مليونيرا. هذا بالضبط هو الحلم الأمريكى وهو ما يميز أمريكا عن أوروبا سليلة الإقطاع والرجعية والطبقة.

أمريكا أول دولة امبراطورية على مستوى الكوكب حجمها هى أول حجم يتناسب مع حجم الكوكب ككل.

أما قبلها فكانت أكبر امبراطورية (بريطانيا) حجمها تناسب مع مقياس عالمى فقط (أو دولى) أى جزء كبير من الكوكب، لكن ليس الكوكب كله.

وأمریکا تختلف عن كل دول الاستعمار السابق، لا فى أنها فقط تنكر أى علاقة لها بالاستعمار، ولكن أساسا فى أنها أول مستعمر وقع متبجح بصورة علنية فاجرة فالمستعمرون قبلها كان يعرفون أنهم لصوص ولكن لا يدعون

حقا في ذلك ، إلا أمريكا فإنها لأول مرة تعلن بكل قحة أنها لصة ولها حق اللصوصية .

والاستعمار العالمي عاد إلى الوجود في صورة أخطر جدا مما كان في القرن ١٩ وقبل الحرب الثانية هو الاستعمار الأمريكي ، وهو استعمار عالمي تماما ولأول مرة .

وهو أول استعمار «عن بعد» Remote - Imperialism ولم تعد هناك دولة مستقلة واحدة في العالم أجمع ، الكل تابع وخاضع للاستعمار الأمريكي الأجدد . العالم الآن برمته ولأول مرة مستعمرة أمريكية واحدة .

يقال في أمريكا إن لوس أنجلوس تسبق أمريكا دائما (بقرن بنصف قرن ؟) تماما كما قيل عن باريس في أوروبا حيث تسبقها بقرن على الأقل دائما .

الإدارة الأمريكية administration تعبير أمريكي بحت ، يقال عن الحكومة والنظام الحاكم وهذا شأنهم .

الجديد والطريف أنه الاستعمار والهيمنة الأمريكية الجديدة ، وهي وحيدة على قمة العالم ، هو المفهوم الجديد «للإدارة الأمريكية» ، الإدارة الأمريكية للعالم ! .

وديموقراطية أمريكا المزعومة التي تتباهى بها على العالم حتى على أوروبا وتعتبرها مثالية وتجسيد المثالية الأمريكية المدعاة ، فعلا كانت سابقة لعصرها في وقتها ، ولكنها الآن متخلفة تماما عن عصرها تنتمي إلى القرن ١٨ وتحتاج إلى نسف لا أقل !

ويبدو أن دور روسيا الذي اختارته لنفسها بعد انتحار الاتحاد السوفيتي وللمشاركة الشكلية مع أمريكا في النظام الجديد (تعلقا بحبال الهواء) هو أن تعمل «كوكيل لأمريكا» فيما كان الاتحاد السوفيتي سابقا ، أي كمساعد أول

للسيد الأمريكي العالمى .

ويبدو كذلك أن النظام العالمى الجديد وارد أمريكا يعتمد على اعتماد مجموعة من الوكلاء الإقليميين الكبار فى كل منطقة رئيسية من العالم - وكلاء وأمريكا تشرع لنفسها فقط علنا وقانونيا الإرهاب الدولى العالمى ، حيث قررت محكمتها العليا حق أمريكا فى اختطاف ومحاكمة أى أجنبى تطلبه .

هذا بالضبط يعنى أن أمريكا بدأت تعامل العالم الخارجى كما تعاملت مع الهنود الحمر فى الداخل : الإبادة والإرهاب الرسمى الشرعى !!

لقد بدأت الحرب الباردة بالفعل بين شاطئى الأطلسى ، بين أوروبا وأمريكا ، حلفاء الأطلنطى لقد انتقلت الحرب الباردة من الشرق - الغرب أو الشيوعية الرأسمالية إلى داخل الغرب نفسه الغرب - الغرب وداخل الرأسمالية والرأسماليين القدامى خاصة فرنسا (+ ألمانيا) وأمريكا (+ بريطانيا) .

أصدقاء الأمس سيصبحون أعداء الغد بمثل ما قد أصبح أعداء الأمس أصدقاء اليوم ! .

أمريكا هى «سرطان العالم السياسى» لا تنطبق صفة السرطانية على شىء فى الدنيا كما تنطبق على أمريكا . كل خصائص ومشخصات وأعراض السرطان تنطبق عليها كما لا تنطبق على أى شىء آخر سوى الجسم الإنسانى :

إفراط النمو، والتضخم المرضى القاتل الذى يهدد سائر الجسم (العالم) فى صميم وجوده .

وطريقة الحياة الأمريكية كما يسمونها ما هى؟ هى الهستيريا! الحياتية طريقة حياة أمريكا هى هستيريا دائمة شعار مستمر، مركز ومصدر ومحرك

وموجه هذه الهستيريا الوطنية هو الإعلام : الإعلام الأمريكي هو قمة طريقة الحياة الأمريكية المزعومة إنه الجنون والهستيريا المسموعة والمقروءة والمرئية . . إلخ والشعب الأمريكي قطعاً قائده الإعلام ، وهو حاكم أمريكا الحقيقي حتى الإدارة والحكم ينقاد لموجات الإعلام العاتية ويخضع لإشعاعاتها الضارة إن عفواً أو عمداً .

ولما كانت إسرائيل هي التي تحكم الإعلام الأمريكي الذي يحكم العقل الأمريكي فإن إسرائيل هي الحاكم النهائي والأخير والحقيقي للدولة الأمريكية .



ولولا خطر الهيمنة والتسلط والاستعلاء الأمريكي لما توحدت أوروبا سياسياً . . . إنها رد فعل أكثر منها منطقاً طبيعياً إنها سياسية أكثر منها جغرافية وإن فرضت نفسها فى النهاية كجغرافيا سياسية ولذا فإنها كمعظم حقائق وواقع الجغرافيا السياسية اصطناعية أكثر منها طبيعية أى «غير جغرافية» ولكن على الجغرافيا أن تتعامل معها وإن لم يكن عليها أن تعترف بها .

ملاحظة هامة جدا وجديرة بالتفكير منذ نشأتها وأمريكا تدعى المثالية السياسية فى كل مجال وشئ هم أشرف وأطهار وأنبياء العفة السياسية فى العالم وعبر التاريخ . . إلخ وقد «فلقوا» العالم بحديثهم وحواديتهم عن حقوق الإنسان وعدم الاستعمار و . . و . . إلخ والعكس تماما تماما هو ما يفعلون ولكن ما من قوة على الأرض يمكن أن تقنعهم بذلك .

وأصبح من الواضح تماما أن العالم كله وأمريكا يتبادلان الحقد والكراهية علنا ، أمريكا تلعن العالم الوقح الحاقد عليها ، والعالم الذى لا يخفى كرهه

لها ينظر بفارغ الصبر لحظة الشماتة العظمى فيها حين تسقط وتتدحرج
وساعتئذ ستصرف أمريكا ضد العالم كالحیوان الكاسر الجریح .
لقد صار بین أمريكا والعالم «تار بایت» .

أمريكا الآن فی حالة «سعار قوة» سعار سیاسی مجنون ، شبه جنون القوة
وجنون العظمة وقد نسجل مزيدا من الانتصارات (اقرأ العدوانات) العسکریة
فی مناطق مختلفة من العالم عبر السنوات القادمة ولكن هذا السعار سیکون
مقتلها فی النهاية .

الغذاء الداخلى الجدید لأمريكا الولايات المتحدة لم يعد الکاریبى ولا
أمريكا اللاتینیة ، وإنما الوطن العربى والعرب أصبحوا لعبة أمريكا المفضلة
ومستعمرتهم الخصوصیة جدا ، وعلیهم وحدهم بمارسون قیادتهم المزعومة
للعالم .

وأمريكا دولة الشذوذ السیاسى العظمى فی العالم کیف ؟

١ - هی الوحیة النى توسعت بالشراء أحيانا .

٢ - هی الوحیة التى تشتري تبعیة سیاسات الدول الأجنیة بالشراء أی
بالمساعدات والمنح المادیة ، أی تشتري السیاسة بالاققتصاد .

٣ - هی الوحیة التى تدعى المثالیة السیاسیة ، رغم أن واقعها هو
النقیض المطلق تماما .

وکیان أمريكا ذاته وكله فیة المادة الخام النموذجیة للثورة الشیوعیة کما
حددها مارکس - وهی أرقى الدول الرأسمالیة تطورا وتقدما إذن هی المرشح
الحقیقى للشیوعیة الناضجة القادمة فشل الاتحاد السوفییتى سببه أن
الشیوعیة فیة قامت فی المكان الخطأ والزمان الخطأ - شبه إقطاعى رأسمالى
بادئى فلنتظر !

يبدو أن ما كان يقال عن ألمانيا واليابان استراتيجيا سيقال عن أمريكا قريبا، ولكن بالمعكوس! فألمانيا واليابان عملاق اقتصادى وقرمز سياسى كما قيل، بينما تتحول أمريكا تدريجيا إلى عملاق سياسى وقرمز اقتصادى. هل تمثل أمريكا اليوم مرحلة احتضار الحضارة أم انتصار الحضارة؟. ما الذى دهى العالم؟! لم يحدث قط من قبل أن ظهرت قوة إمبريالية طاغية مستبدة مفتونة بقوتها ومجنونة بالقوة والخطرة العلنية على العالم كله كما حدث من أمريكا اليوم. وفى الوقت نفسه لم يحدث قط أن استكان العالم كله وسكت ورضخ وخضع فى هوان وذل حقير كما يحدث الآن. كانت الستينيات روح الصراع والتحدى. والآن التسعينيات موت الروح وروح الموت؟.



الصراع أبدي دائم طوال التاريخ على كل المستويات ومتعدد الأبعاد والجوانب. صراع أجناس + صراع شعوب + صراع دول وقوميات + صراع طبقات + صراع فردى بحت. والكل يتداخل وإن برز أحده فى حالة بعد أخرى. والذى حدث ليس نهاية التاريخ، وإنما «نكسة التاريخ». نعم لقد انتكس التاريخ وتقهقر إلى الوراء قرونا أو عقودا على الأقل. لكن هكذا هى حركة التاريخ طوال التاريخ تقدم فتقهقر، خطوة إلى الخلف ليقف خطوتين إلى الأمام فلا بأس.

العالم الغربي



٣- روسيا

انتهت الحرب الباردة بين الغرب والشرق بسقوط السوفييت ، فبدأت الحرب الباردة بين الغرب والعالم الإسلامى (وعموماً العالم الثالث!) الحرب الباردة مستمرة ولكن بصورة أخرى ومع عدو جديد .

ما حدث للاتحاد السوفييتى (المرحوم) سيحدث لأمريكا: السقوط من الداخل ، وإعلان الاستسلام والهزيمة .

مع الفوارق طبعاً .

كيف؟ كما أعلن الاتحاد السوفييتى عجزه عن الاستمرار فى الصراع والتحدى الثنائى واستسلم للانزلاق إلى أسفل خارج الصراع وتحت أمريكا بها فستعلن أمريكا يوماً ما عجزها عن الاستمرار فى قيادة العالم الأحادية

وإدارة شؤون هذا الكوكب وحدها، وتعلن الانسحاب من الزعامة والقيادة والصدارة لمن يريدها وهنا ستظهر القوى الجديدة (المتحدية الآن في صمت).

هناك مزيدة بين أوروبا وأمريكا على اجتذاب روسيا هناك تكالب على روسيا.

في ميزان القوة العالمية والإقليمية نصف ما فقدته روسيا بزوال الاتحاد السوفيتي، تحول أوتوماتيكيا لحساب تركيا فكل آسيا الوسطى تقريبا خرج من عباءة الاتحاد السوفيتي لتدخل تحت عمامة تركيا.

تركيا هي أكبر الكاسيين في عملية الوراثة الإقليمية في المنطقة، أكثر من إيران قطعا، وطبعا من مصر التي خسرت في الحقيقة ولم تكسب قط.

بداية نهاية الاتحاد السوفيتي — نقولها للمرة الألف بعد الملون! كانت هزيمة يونيو ١٩٦٧. منذ ذلك التاريخ أصبح خطر الاتحاد السوفيتي في الصراع العالمي مع أمريكا في النازل ويدها السفلى المهترزة المهترزة المنكسرة بل المكسورة.

ولذا من السفه النظرية المجنونة إن السوفيت هم الذين خدعوا مصر والعرب واستدجروهم إلى الحرب والهزيمة حتى لو كانت نواياهم غير طيبة (ومن المسلم به أنهم لم يكونوا معنا قط ١٠٠٪، ولا حتى ٥٠٪ وكانت إسرائيل عندهم فوق العرب قطعا، وأهم وأبقى وأقرب).

وعلى حائق النهاية كان طرد السوفيت من مصر والمنطقة سنة ١٩٧٣، وسقوط مصر في التبعية الأمريكية والركوع لإسرائيل.

في نفس الاتجاه والخط كانت حرب أفغانستان (فيتنام الروس).

وأخيرا كانت حرب الخليج والخيانة السوفيتية والتواطؤ مع العدو الأمريكي .

وفى النهاية كان الاستسلام العلنى لأمرىكا على يد الخونة جورباتشوف يلتسين نهاية النهاية .

يثبت التاريخ أن الروس من أشد المتطرفين تطرفا وغلوا فى التطرف ، وخطأ بالتالى . فلقد تطرفوا مرتين ، وفى كل مرة أخطأوا بيقين :

١ - فى الثورة الشيوعية ١٩١٧ تطرف رهيب مخيف .

٢ - فى الثورة على الشيوعية ١٩٩٢ تطرف رهيب رهيب مدمر .

ولولا هذا التطرف وذاك ، لكانت الثورة الأولى قد سارت وصححت نفسها وحقت غلواءها إلى اشتراكية حقيقية معتدلة ، كانت ستستمر إلى الآن وإلى الأبد .

قطعا ، حصار وضغط الغرب العدوانى الرهيب لم يتح الفرصة للتطور الداخلى للشيوعية ، بل فرض عليها التجمد والمزيد من التجمد ، بل والمزايدة والمزيد من المزايدة فى التطرف الأيديولوجي .

كما انتهت الحرب الساخنة الثانية باستسلام النازية للحلفاء استسلاما مطلقا سياسيا وعسكريا وبلا قيد ولا شرط ، استسلم الاتحاد السوفيتى فى الحرب الباردة للغرب استسلاما مطلقا سياسيا وعسكريا وبلا قيد ولا شرط لا فرق مطلقا !

الفارق الوحيد والمذهل هو أن استسلام النازية جاء نتيجة لهزيمة عسكرية كاملة ، ولكن استسلام السوفيت جاء من موقع القوة القوية الكاملة ودون رصاصة واحدة .

إن كان استسلام وانتهاء الاتحاد السوفيتى هو أكبر لغز فى التاريخ ، كما هو أكبر هزيمة فى العالم ونتائجها السياسية العالمية فى الاستراتيجية والسياسية العالمية تفوق نتائج الحربين العالميتين الأولى والثانية معاً ، وكانت بحاجة إلى حرب نووية شاملة على الأقل لكى تتحقق !

إن جريمة تدمير الاتحاد السوفيتى هى أكبر جريمة سياسية فى التاريخ ، وأكبر حادثة انتحار جيوبولتيكى فى الجغرافيا السياسية ، وهى جريمة جنونية بحته لأنه ليس لها مبرر حقيقى بالصورة التى تمت بها فقد كان هناك بدائل كثيرة للتغيير والتفكك بالتخطيط وبالتدريج .

فعلا تسمية كومونولث لورثة الاتحاد السوفيتى اسم على مسمى إلى حد ، فهى وإن كررت الكومونولث البريطانى اسما ، فهى مثله تهدف إلى احتفاظ المتروبول السابقة هيمنة ما على الآخرين لقد تحولت جمهوريات الاتحاد السابق من «مستعمرات» إلى «مجمعات» ؛ وبدلا من الضم والسيادة ، حلت الوصاية والتبعية .

والقرن العشرون هو قرن الاتحاد السوفيتى ملحمة ومأساة : ابتدأ بالثورة الشيوعية ١٩١٧ التى بنت الدولة الجديدة ومرورا فى منتصف القرن بالحرب الثانية التى خلقت الدولة العظمى ثم انتهى بانهيار الشيوعية والدولة ١٩٩١ منحنى قوسي كامل عبر القرن .

لم يكن هناك أغرب ولا أخطر من الثورة البلشفية ١٩١٧ إلا انهيار الثورة والدولة ١٩٩١ .

[انقلاب ساخر: الثورة الشيوعية أصبحت تعد الآن الثورة المضادة ، والانقلاب الرأسمالى ١٩٩١ أصبح هو الثورة!] .

ما حدث من تغير فى العالم السياسى اليوم أكبر من ثورة وانقلاب وهو
أضحخ من نتائج حرب عالمية ثالثة وأضحخ من نتائج الحربين العالميتين
الأولى والثانية .



I.. C.S.

Independent Commonwealth states

هى تسميه ورثة الاتحاد السوفييتى دول آسيا الوسطى الجديدة تعد عمليا
كمجاهل وسط آسيا ، على غرار مجاهل وسط أفريقيا فى القرن الماضى .
الآن فقط بدأت الكشوف الجغرافية! هذا خلف الستار الحديدى وهذا وراء
الصحراء الكبرى .

هل تصبح العلاقات بين ورثة الاتحاد السوفييتى السابق أشبه بامبراطورية
مع إيقاف التنفيذ؟ هل تحل الوصاية الروسية محل «التعنية لروسيا» .

هل انتهى ما كيندر تماما بعد سقوط الاتحاد السوفييتى المخزى ، منتحرا
راكعا؟ هل سقط الهارتلاند إلى الأبد فى سلة مهملات الجغرافيا؟

الموقف معقد جدا والاستسهال سهل ، ولكنه مهلك علميا لماذا؟ لأن ما
حدث هو خلل فى التطبيق وفى إدارة الاتحاد السوفييتى وشرق أوروبا إلخ
وليس بالضرورة خللا فى النظرية الجيوستراتيجية خلل فى الأيدولوجيا ربما ،
ولكن ليس فى الجيوستراتيجيا . ثم إن الفرصة قائمة وصحيحة إذا اجتمع
الهارتلاند + شرق أوروبا ، أصبحت الامبراطورية العالمية على مرمى البصر .

ثانيا ، هل تنتقل نظرية ماكيندر وتهاجر شرقا إلى أقصى شرق آسيا؟ إذا
اتحدت الصين واليابان فى قوة وكتلة واحدة - كما يخمن البعض - ولها
النقيض بدلا من العداة الذى تغذيه أمريكا والغرب والاتحاد السوفييتى

السابق - فستكون أقوى كتلة فى العالم ويصبح شرق آسيا هو الهارتلاندى الجديد - وهو هارتلاندى ولكن ليس داخلها ولا هامشياً **rimland** .
روسيا الجديدة أصبحت دولة مسخاً تقريباً - دولة داخلية أو شبه داخلية
حيث .

فبعد ٤ جبهات مائية وسواحل مفتوحة ، أغلق اثنان تقريباً البلطيق والأسود ، إلا من فتحين (فرج روسيا) على لنيجراد (بطرسبرج) والقرم .
وأصبحت دولة ساحلية على المحيط والهادى فقط .
إذن أصبحت دولة قارية تقريباً .

وحيث إنها الدولة القارة حجماً ، فإن هناك الآن قارة قارية ! قارة بلا
سواحل حقيقية فى حين أن لكل قارة فى النهاية سواحلها !
لقد اشتدت قارية وشرق روسيا الآن أكثر من أى وقت مضى ، حتى أكثر
من أيام القيصرية وربما أيام كارترين أو بطرس الأكبر !
الاتحاد السوفييتى والولايات المتحدة : كما قاما معا فى غفلة من الزمن
ستسقطان معا فى ساعة الحقيقة . ولقد سقط الاتحاد ، والدور الآن على
الولايات والأيام بيننا .



ولأن الدولتين (١) كلتاها عرقياً وجنسياً وقومياً ودينياً . . إلخ ،
فسيكون هذا عامل سقوط فعال ، رغم البوتقة الأمريكية المعروفة فهى قد
عجزت عن هضم السود (المشكلة التى لم تعرفها البوتقة السوفييتية الشيوعية
حيث عجزت الشيوعية عن هضم القومية) .

(١) لم نهتد إلى قراءة هذه الكلمة . (الناشر) .

سقوط الاتحاد بدأ بزلزال (سببه حمق الأخرق العاجز المفلس
جورباتشوف) تحول إلى بركان نسف كل شىء .
الآن حرب لوس أنجلس أو حرب خليج كاليفورنيا هى زلزال أمريكا -
الذى سيحول يوما ما إلى بركان مدو نهائيا .
والذى حدث بعد اندثار الاتحاد السوفيتى ليس «نهاية التاريخ» ولكن
«تراجع التاريخ» فلقد رجع أو «نكسة التاريخ» .
وتجمع دول البحر الأسود ، وتجمع دول بحر قزوين ، وهى آخر بدع
السياسة الدولية الإقليمية .
والحقيقة أنها مجرد «مناورات قومية» يهدف البعض إلى استغلالها للنفوذ
الإقليمى والقوة الإقليمية خاصة تركيا بعد انهيار المعسكر الشرقى ولكن لا
جدوى .



العالم الغربي

٤ = البوسنة والهرسك

إن حرب البوسنة والهرسك واحدة من أشنع حروب الإبادة والحصار
ولكننا لا ندرى . إنها قطعة تماما من حروب العصور الوسطى الصليبية التي
تألف من :

حصار مدينة + إبادتها وتصفيتهما جسديا .

إن شبهة الصليبيات التي ترفع رأسها حيثما صار الأمر يعنى المسلمون ×
الأوربيين ، هى شبهة حقيقة جدا ، بل وحقيقة مشينة مثلما هى واقعة .
ويحار المرء فى فهم وتشريح وتحليل عقلية الاستعلاء الغربى من
استعمار أو عنصرية طائفية إلخ .

مأساة البوسنة هى تشريح دموى بشع للعقلية الأوربية العنصرية .

فالسؤال هو: ما هي قاعدة الأساس في العقلية الاستعمارية الأوروبية: الجنس، أم الدين، أم القومية؟ أم أن القاعدة مركبة أصلا من ثلاثتها أو أغلبها؟ .

فالقاعدة الأساسية المفهومة هي الجنس - اللون - والملونون إلخ أى أبيض × ملون . والعالم كله نموذج داخل هذه القاعدة تأتى قاعدة أضييق أو أصغر: هي الدين - أى الطائفية، وتعنى مسيحي × غير مسيحي (غالب مسلم) وهذه نعرفها جيدا .

وموقف أوروبا من الإسلام فى البوسنة اليوم هو تماما كموقفها من اليهود أيام اغتصابهم لفلسطين فى الأربعينيات والخمسينيات وحتى اليوم: فرصة العمر التاريخية للتخلص من دولة إسلامية فى قلب أوروبا كما كانت للتخلص من يهودهم وتدمير العرب وفلسطين ولذا فأوروبا تلعب لعبة «مؤامرة الصمت» تتفرج وتتلهف على النتيجة المرجوة، ولكن مع مصمصمة الشفاه وحركات الهمبكة للتمويه .

والتطهير العرقى **Ethnic Purge** الذى يمارسه الصرب فى البوسنة والهرسك هو أوقح كذوبة فى التاريخ بعد اللاسامية .

والبوسنة والهرسك هي أول دولة إسلامية فى أوروبا الحديثة . لكن هل تكون الأخيرة؟ هل يزيلها الصرب وكرواتيا فى المستقبل بالقوة والحرب؟

من ناحية أخرى الصرب والكروات وسائر المسيحيين البلقانيين يكرهون المسلمين هناك ويحاربونهم (والآن يحاولون إبادتهم!) مع أنهم بيض تماما مثلهم حتى لو كانوا أتراك جنسا وأصلا جزئيا وسلاف أيضا أساسا .

حرب البوسنة ومأساة المسلمين بها هي قطاع عرضى وطولى، أفقى ورأسى، كامل من العصور الوسطى بحذافيرها والحروب الصليبية بالتحديد

إنها تعيد العصور الوسطى بكل مركباتها وعقدتها ورجعيتها وتعصبها ودمويتها .

أن من ينظر إلى صراعات أوروبا الآن بين الدول والقومية والعنصرية . . إلخ ، لا يندهش قط لما يحدث بين العرب من تمزقات وانهايارات كل هذا طبيعى وليس أوروبا أفضل منا فى هذا بكثير .

بدأت «الصليبيات الصغيرة» فى أوروبا بضرب أذربيجان السوفيتية قبل زوال الاتحاد حين طالبت بالاستقلال ولم تضرب دول البلطيق التى طالبت بنفس الشئ .

ثم تبلورت فى البوسنة والهرسك حيث توأما الصرب مع الكروات الذين كانا فى حالة حرب منذ شهور^(١) ضد بعض فى معركة استقلال وانفصال (كرواتيا بعد سلوفينيا) ضد مسلمى البوسنة والهرسك فأصبحت مؤامرة صليبية سافرة ضد المسلمين !

لو كانت البوسنة والهرسك هى المعتدية وقامت بإبادة الصرب والتطهير العرقى ضدها ، أو لو فرضنا جدلاً أن البوسنة والهرسك هزمت الصرب المعتدية فى الحرب الحالية فعلاً ، لانقلبت كل أوروبا + أمريكا بكل أسلحة حلف الأطلسى وغير الأطلسى لإبادة ومحو البوسنة والهرسك من الوجود ومن القاموس ومن خريطة أوروبا والعالم - تماماً كحرب الخليج الإجرامية الإبادة ضد العراق .

إنها فعلاً آخر الصليبيات ومن يقل بغير هذا كاذب إن كان غير مسلم ، وجاهل إذا كان مسلماً .

مفارقة لافتة فى الوقت الذى تحاول دول أوروبا العربية طرد المهاجرين

(١) كان هذا عام ١٩٩٣ قبل رحيل المؤلف - رحمه الله (الناشر) .

المسلمين الجدد منها، تحاول دول أوروبا الشرقية (البلقان خاصة) طرد السكان المواطنين المسلمين القدامى (بلغاريا، يوجوسلافيا)، هناك حملة لتصفية المسلمين الأوربيين وتطهير أوروبا كلها من الإسلام، purge، بالتصفية الجسدية إن أمكن وبالطرد إن لم يمكن .

الاستعمار حول العالم تم في ظلام عصور العزلة وبدائية المواصلات ، أى فى غفلة من الناس والزمن والعلم ، وكان العالم لا يعرف بخبر استعمار منطقة إلا بعد شهر من تمامها تماما .

الآن التحرير تم تحت سمع وبصر الأقمار الصناعية وأجهزة التجسس وعلى شاشات التلفزيون يشاهده العالم أجمع .

إذا كانت الأغلبية تدين وتهاجم وتشجب الاستعمار الحديث بلا تحفظ وأقلية فقط تدافع عنه على استحياء ، فالحقيقة أن الخطأ فى الحالين مصدره التعميم لا بد أن نميز بين حالتين : شعوب الحضارة والتاريخ والشعوب البدائية . كان الاستعمار إنقاذا وفائدة محققة للأخيرة ، ولكنه كان إهانة للأولى . كان للاستعمار أضراره أقل من فوائده للبدائيين ، ولكن فوائده أقل من أضراره للمتقدمين . كانت ضرورته أقوى من أضراره للبدائيين ، ولكنه لم يكن ضروريا للمتقدمين أو لم تكن ضرورته تبرر أضراره وأخطاه وخطايا للمتقدمين .

العالم الغربي


٥- الأمم المتحدة والنظام العالمي الجديد

البعض يقول إن الأمم المتحدة أصبحت الآن بعد سقوط الاتحاد السوفيتي السابق، هي القوة العظمى الثانية إلى جانب أو بعد الولايات المتحدة! هذه مغالطة ذكية؟

الصحيح أن الأمم المتحدة أصبحت «ظل» القوة العظمى الأولى والوحيدة!

فقد أصبحت الأمم المتحدة الأداة التنفيذية المثلى والقفاز الحربي لأمريكا وسياسة القوة والسيطرة والغطسة . . إلخ

في الوقت الذي أصبح العالم كله، الكوكب، الكرة الأرضية، محاصرة فضائياً بالاستعمار الأمريكي الكوكبي لأول مرة في التاريخ .

الرد الوحيد الآن أمام الدول المقهورة والترسو هو: تحطيم الأمم المتحدة بالخروج منها نهائيا بالجملة، إلى أن يتم إنشاء منظمة غير إجرامية.



النظام العالمى الجديد «ليس جديدا وليس نظامًا، لا هو نظام، ولا هو جديد. لا هو جديد - لأن قبله وجد نظام واثنان وعشرة فلكل عصر توازن قواه، وهذا التوازن هو بعينه النظام العالمى أو الدولي السائد أو القائم كان هتلر يريد نظاما عالميا جديدا كان هذا مشروعه، وكذلك اليابان . . إلخ وقبل ذلك وحتى لنا بليون نظامه العالمى الجديد الذى هدفه وراثه النظام البريطانى الجديد . . إلخ.

إذن، ليس النظام العالمى الجديد الذى دعا إليه مجرم الحرب والسلم بوش، إلا إدعاء كاذبا إجراميا لفرض سلامه الأمريكى *pax Aweri Cana* أما أنه ليس بنظام، فكل توازن يسمى بالنظام العالمى إن هو إلا كتوازن القشرة الأرضية على باطنها الدول وتجمعاتها وصراعاتها أشبه بالألواح الأرضية التى تتصادم عند أطرافها وتتحرك وتنزلق وتتعلق وتنشق وتنشقق . . إلخ، وتفجر الزلازل والبراكين السياسية بينها كحروب وانتصارات وهزائم يعود بعدها بعض الاستقرار السياسى المؤقت إلى أن تبدأ القوى والطاقت الحبيسة تتراكم فيكون هذا هو النظام العالمى الجديد القائم، إلى أن ينهار ويحل آخر محله . . إلخ

ولذا فكل نظام عالمى هو كيان هلامى ديناميكى متغير ببطء أو بسرعة فهو إذن نظام ولا نظام فى آن واحد وأنت نستطيع أن نتحدث عنه كنظام فعلا، ولك أن تنكره أيضا كلا نظام أى نظام عالمى ليس قفصا حديديا صارما .

وهذا هو نفس وضع ما يسمى بالنظم الدولية الإقليمية، كالنظام العربي مثلا. فهو نظام وما هو بنظام.

بعض العرب (اللوبى الأمريكى فى العالم العربى) يتحمس للنظام العالمى الجديد المزعوم (الأمريكى) كأمل يتحقق فيه بعض مطالبه من إسرائيل، وعلى أساس أن كل خسائر العرب تمت فى ظل وبفضل القضية الثنائية السابقة.

ليس نظامًا ولا جديدًا! هذا هو ما يسمى النظام العالمى الجديد فأولا، هو فوضى أو بالأحرى فرض لا نظام، من جانب القوة المتغطرة السائدة مرحليا. ثانيا لكل عصر نظامه، نظامه الجديد، يفرضه الأقوى على العالم أو هو يحاول كان النظام العالمى الجديد أيام السيادة البريطانية هو السلام البريطانى وكان لهتلر مشروعه لنظام عالمى جديد New World Order.. إلخ أما الآن فهو أو وهم بوش المجرم، مجرم الحرب والسلم حلم لن يتحقق بل تحطم فعلا حتى فى عقل صاحبه المخبول، وسقط معه إلى سلة مهملات التاريخ والسياسة.

وليست أمريكا زعيمة العالم، بل زعيمة العالم «العربى» وحده والنظام العالمى الجديد لا يوجد فى عقل العالم، وإنما فى «فراغ» عقل العالم العربى فقط ولربما لو لم يوجد، لأوجده العرب!

والشرعية الدولية هم الاسم الدبلوماسى (أو الحركى!) للسيادة العالمية اقرا «الهيمنة الدولية».

المحتويات

الصفحة	الموضوع
٧	تقديم
٢١	اللوحة رقم ١
٢٣	اللوحة رقم ٢
٢٥	اللوحة رقم ٣
٢٩	الفصل الأول : مصر والمصريون
٤٥	الفصل الثاني : الجغرافيا والجغرافيون
٨٩	الفصل الثالث : العرب والعالم العربي
١١١	الفصل الرابع : الإسلام والعالم الإسلامي
١٤٩	الفصل الخامس : العالم الغربي
١٥٩	١- أوروبا
١٦١	٢- أمريكا
١٦٩	٣- روسيا
١٧٧	٤- البوسنة والهرسك
١٨١	٥- الأمم المتحدة والنظام العالمي الجديد
١٨٤	المحتويات

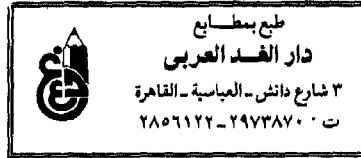
رقم الإيداع بدار الكتب والوثائق القومية

١٩٩٦/٨٧٨٦

التزقيم الدولى

I. S. B. N.

977 - 5066 - 34- 4



جمال حمدان وأوراقه الخاصة

لم يكن جمال حمدان عالمًا فى الجغرافيا فحسب . . ولكنه كان عبقرىًّا فذاً . . وعاشقًا لمصر كأعظم ما يكون العشق . ولقد اندمجت عبقريته الفذة مع عشقه العظيم لمصر الخالدة . . فصاغ رباعيته العظيمة [شخصية مصر - دراسة فى عبقرية المكان] والتي استطاع بمهارة فائقة أن يحول علم الجغرافيا . . الذى يهتم بالتضاريس والجبال والوديان إلى سمفونية موسيقية رائعة .

ولقد كان الرحيل المفاجىء . . والظروف الغامضة التي اكتفت رحيله . . صدمة شعبية . . ذلك أن «جمال حمدان» كان واحدًا من أعظم رموز الوطنية المصرية .

وإنه لمن دواعى سرور «دار الفكر العربى» أن تقدم للعالم أجمع الجزء الأول . . من أوراقه الخاصة . . والتي سجل فيها ما يشبه المذكرات . . والتي قام شقيقه الدكتور عبد الحميد حمدان بإعدادها فى ثلاثة أجزاء .

إن هذا الكتاب الذى تقدمه اليوم هو وثيقة لمفكر عظيم أنجبته مصر - ومصر دائما ولادة للنجباء - يتناول فيه العديد من القضايا الراهنة بحس العالم . . وشعور العاشق لمصر ويشعبها العظيم . .

حمدان جعفر

مدير دار الفكر العربى